الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم:العلوم الإنسانية تخصص فلسفة العلوم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

الموسومة:

العلم والدين عند جون ديوي
دراسة تحليلية نقدية

إعداد الطالبتين:

- سعيد فتيحة * تحت إشراف الأستاذ:

- قوراري عائشة - راتية الحاج

أعضاء اللجنة المناقشة:

* الأستاذ / بوعمود أحمد .....رئيسا

* الأستاذ / راتية الحاج .....مشرفا

* الأستاذ / حفصة الطاهر.....مناقشا

- السنة الجامعية1436هـ – 1437 هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان :

نتقدم بجزيل الشكر إلى الله سبحانه وتعالى.

نتوجه بالشكر الجزيل والإمتنان والعرفان الكبير إلى الأستاذ المؤطر راتية الحاج على تقديمه لنا التوجيهات اللازمة، والمساعدات الضرورية لإنجاز هذه المذكرة.

كما لا ننسى إسداء الشكر إلى أساتذة الفلسفة اللذين لم يبخلوا علينا بأي نوع من المساعدة.

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم قراءة ومناقشة هذا العمل.

وشكر خاص إلى من ساعدنا في كتابة هذه المذكرة .

ولكل هؤلاء منا فائق الشكر والاحترام.

فتيحة وعائشة

إهداء

الذي وهبني الحياة وجعل مني كائنا حيا بعد أن كنت في العدم إلى الذي هداني إلى هذا، وكنت لأهتدي لولاه إلى الله عز وجل أولا وأخيرا.

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة إلى الشخص الذي أثنى علي بتربيته، إلى الدي سهر على تعليمي إلى الذي علمني أن الحياة خوف من الجليل، إلى بلسم والعمل بالترتيل والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، إلى بلسم جروحي والدي العزيز.

إلى التي اعتمدها الملاك الطاهر لولاه ما كنت، إلى التي غرست في خاطري بذور الحب، وأزكت في نفسي حب المغامرة، إلى رقة هذا الزمان إلى ينبوع الحنان والعطف، إلى سكني في هذا الوجود أمي الحبيبة.

إلى عوني وسندي وقدوتي في الحياة، إلى التي لم تبخل عليا بفضلها، إلى التي عبرت الطريق التي سرت عليها بمساعتها المعنوية والمادية، إلى أختي وحبيبتي الغالية حياة وزوجها محمد.

إلى أختي وسندي نور الهدى، إلى محبوبي " محمد أمين " إلى أخي الصغير عبد العالي، إلى أخي عبد القادر وزوجته والكتاكيت (محمد، خيرور، سندس).

إلى صديقتي في الدرب الدراسي العزيزة " فتيحة " .

إلى نصفي الثاني في مسيرة الدرب الجامعي والحياة الجامعية، إلى من قاسمتني ثمرة جهودي الغالية عالية ، نصيرة.

إلى من قاسموني المحبة والأخوة تحت سقف واحد.

إلى صديقة العمر، إلى ذات القلب الطيب والأخلاق الرفيعة، إلى حبيبتي زوليخة.

إلى من نزرت حبها للجميع، وأحبها الجميع، إلى ذات الروح الخفيفة المرحة إلى أختي أمينة إلى صاحبة الروح الجميلة، إلى من فرضت حبها واحترامها على الجميع الغالية ناديا.

إلى صديقات وضعن القدر في طريقي فكن نعم الأخوات، بشرى، فروجة ، مخطارية.

إلى كل فرد من أفراد الأسرة التعليمية التي سقتنا من نبع العلم طيلة خمس سنوات ، إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

عائشة

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الذي لا يضاهي مكانته الرفيعة في قلبي أحد، إلى من علمني أن النجاح بالكفاح وأن الصبر في الكفاح سلاح، أبي العزيز أطال الله في عمره.

إلى من أعطتني حبها دون مقابل، إلى من أنارت طريقي بدعواتها إلى مصدر الحنان والحب أمي الغالية.

إلى جميع إخوتي وأخواتي، وإلى جميع أقربائي وأصدقائي وصديقاتي.

إلى من كان قدوتي ومثلي الأعلى طوال السنوات التي قضيتها في الجامعة وأشرف على هذا العمل بكل جدية.

ولم يبخل عليا بأية نصائح، الأستاذ المحترم راتية الحاج، وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد ، وإلى كل طلبة الفلسفة العامة وإلى طلبة فلسفة العلوم خاصة.

فتيحة

مقـــدمـــة

مقدمة:

الدين روح الأمة وسبب من أسباب وحدتها، وعلة في اتخاذ وجهة تشكيلها وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذي يعتنقه هؤلاء الأفراد، ولن تجد أمة تخلو من دين، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر، لأن الدين عبادة تقتضي عابدا ومعبودا وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا، وقد مرت البشرية في أدوار كثيرة في تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية، كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة، وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر، فألهوا البقر كما ألهوا البرق والرعد، ثم انتهى الأمر بالبشر إلى تأليه كل قوة الطبيعة، ومن هنا نشأ تعدد الآلهة، ولقد ظهرت الديانات السماوية التي تعترف بوجود الله، و أنه خلق العالم بعد أن لم يكن، وأنه بعث الأنبياء والرسل لهداية البشر، والإيمان بوجود الله، وبحكم أن الإنسان كائن مفكر دائم التساؤل عن علة الأشياء وأصلها، فهو يفكر في شؤون الدنيا، ويبحث عن أسرار البيئة التي يعيش فيها، ويحاول استغلالها والتغلب على المصاعب التي تصادفه، وسخر الطبيعة لخدمته بغية حياة أفضل واتبع في هذا السبيل التجربة وسار في الطريق المسمى بالعلم، وقد تقدم العالم خطوات واسعة إلى الأمام، وخاصة في القرن الثامن عشر إلى أن اهتدى الإنسان إلى معرفة سر المادة وتركيبها، وإزاء هذا التقدم العظيم للعلم وما يعتمد عليه من منهج يقوم على المشاهدة والتجربة والإحصاء، أصبح الإنسان يتساءل لما لا تطبق المناهج العلمية على الدين، وبخاصة بعد تطبيقها على الظواهر إنسانية أخرى مثل النفس الفردية والنفس الجماعية، ونشأ عن ذلك علمان جديدان هما علم النفس وعلم الاجتماع، وفي القرن التاسع عشر، فقد سار العلم في طريق معاد للدين، وانتشرت في أوروبا موجة شديدة من الإلحاد باسم العلم، ذلك أن العلم كان ينادي بالحتمية التي تعني أنه، إذا توفرت الشروط والأسباب تحتم وقوع النتائج، وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الفلسفة البراجماتية على يد الفيلسوف الأمريكي " تشارلز بيرس " وعرفت بشكل أوسع على يد الفيلسوفين " وليم جيمس " و " جون ديوي " (1859-1952) الأب الروحي لها الذي هو موضوع بحثنا حيث سوف نتطرق إلى معرفة حياته الفكرية ومذهبه وفلسفته التي تقوم على الأداتية أو الوسيلية حيث تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد الناس على حل المشكلات وتكون لها آثار عملية اجتماعية تحقق متطلبات المجتمع في الواقع المتغير، ويعرف " ديوي " فلسفته على أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء وتخفيف حدة التوتر في

الحياة الاجتماعية السائدة، ويجعل من البيئة مصدرا أداتيا لغرس المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية، ولقد تطرقنا كذلك إلى تحديد مفهوم العلم والدين لغة ولقد تطرقنا كذلك إلى تحديد مفهوم العلم والدين لغة واصطلاحا، ويعتبر " ديوي " العلم عملية وظيفية أو نشاط تقوم على أساس طرق منظمة ومناهج للبحث التي نسعى بها للوصول إلى الحقائق العلمية، والعلم عنده له علاقة بالمعرفة والمنطق، فالعلم هو تدقيق المعرفة وطورها الأخير هو التوصل إلى المتضمنات المنطقية، ونشير كذلك إلى الحقيقة عند " ديوي " تقوم على الربط بين الحق والبحث، فالحق ليس حقيقة غيبية ميتافيزيقية بل هو صفة تصف العلاقة القائمة بين المشكل والحل، فالحق عنده هو التحقق من منفعة الفكرة بالتجربة ولا يمكن أن يكون شيء آخر، أما الجانب الديني عند " ديوي " فهو الأخلاق التي عرفها على أنها الأساليب الشعبية وهي العادات الجماعية المقررة، والقيم النسبية المتغيرة بحسب الزمان والمكان، وينظر " ديوي " إلى الدين من خلال المنفعة التي تنتج عنه بغض النظر عن مقاصده الشرعية، وإن أساس التعامل بين الأفراد في نظر كذاك هو المصلحة بينهم دون مراعاة القيم الأخلاقية والإنسانية.

وتكمن أهمية الدراسة في تصور " ديوي " للعلم والدين، في كون أن العلم والدين من أهم وأبرز المفاهيم الفلسفية والعلمية التي شغلت تفكير الفلاسفة والمفكرين بمختلف تياراتهم، واتجاهاتهم الفكرية، مما جعل منهما مطلبا إنسانيا، فالكل يبحث عنهما والكل يسعى الوصول إليهما، كما يعتبر كل من العلم والدين غاية لك بحث إنساني، الأمر الذي جعل منهما مفتاح للوصول إلى المعرفة العلمية و الدينية الأخلاقية وحل للمشاكل الفلسفية والعلمية، وهذا ما يفرض علينا تأصيل والتعقيد للمفهومين انطلاقا من نظرة " ديوي " لهما، الذي يعد أحد بناة الفلسفة البراجماتية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية ونجاح أفراده في التكيف مع البيئة الجديدة، ولقد حاول " ديوي " نزع الغموض الذي أحاط البراجماتية فاصطنع الأداتية كاتجاه براجماتي خاص به، حيث تصبح الفلسفة أداة فعالة لحل مشكلات الناس الاجتماعية، كما أنه سعى باستمرار إلى التطور و التجديد والنظر دائما إلى المستقبل والبحث عن العوامل للنجاح فيه، وليكون هذا واحد من الأسباب ودواعي البحث وأهمية المعاصرة التي دفعت بنا إلى اختيار هذا الموضوع.

تقوم دراسة الإشكالية حول البحث في العلم والدين عند " جون ديوي " كموضوع يستدعي الاهتمام أكثر من جوانب المنهجية والعلمية والدينية للتعامل مع الأوضاع الاجتماعية وغيرها، وهذا سنكتشفه من خلال الأعمال التي تعرض لها " جون ديوي " والذي حاول التعامل مع الحقائق العلمية والدينية المؤيدة إلى بلوغ الأهداف العملية، ومدام أنه لا يمكن إنجاز إي عمل دون الوصول إلى طرح الإشكالية التي تتناسب مع أهداف الموضوع وعليه فضلنا أن تكون إشكالية البحث كما يلي:

هل يمكن للعلم أن يتأسس كطرف مرجعي للدين؟ وهل لهذا الأخير قيمة في الفلسفة البراجماتية؟ وما الدور الذي يلعبه؟

ويندرج تحت هذا التساؤل أسئلة فرعية :

- ماهو العلم ؟وما أهميته في الحياة الإنسانية؟، وهل للدين دور في قيام هذه الحياة على أساس علمي ؟
- ما موقف جون ديوي الفيلسوف البراجماتي من العلم والدين ؟

أعددنا الموضوع وفق فرضية مفادها أن العلم والدين عند " جون ديوي "، يعتبر فكرة ونظرية تحرم الإنسان والمجتمع، ومن خلال بحثنا نأمل الوصول غلى تحديد معنى مصطلح العلم والدين وحدودهما وأهدافهما ورائدهما " ديوي " وتبيان معنى المعرفة والمنطق والعلم والأخلاق والدين ومعيارها عند " ديوي " وتأثير هذه المفاهيم على المجتمع، وأهم الانتقادات التي وجهت إليه، وبالتالي تم توزيع الموضوع وفرضيته الدراسة التي جاءت كالتالي: مقدمة، وثلاثة فصول، كل فصل يحتوي على مبحثين، وخاتمة.

ففي المقدمة قمنا بإيضاح أهمية مسألة العلم والدين وتطرقنا إلى الفيلسوف " جون ديوي " وتعرفنا على نظرته إلى العلم والدين، ثم أشرنا إلى المنهجية المعتمدة والإشكالية والفرضية التي أقمنا عليها الدراسة وتناولنا في الفصل الأول كرونولوجيا الفيلسوف " جون ديوي " تطرقنا إلى حياته الفكرية وذكرنا فلسفته ومذهبه ومؤلفاته وتناولنا كذلك جينالوجية المفاهيم عرفنا العلم والدين لغة اصطلاحا.

أما الفصل الثاني فحمل عنوان " العلم والدين عند جون ديوي " ووضحنا نظرته للعلم من خلال الإشارة إلى نظرية المعرفة والمنطق والحقيقة والكون والعالم، كما أشرنا كذلك إلى الجانب الديني عنده القائم على الأخلاق والقيم والتدين، والفصل الثالث كان عبارة عن مناقشة العلم والدين عند " جون ديوي " والإشارة إلى أهم الانتقادات التي وجهة له من المنظور العلمي والديني، وختمنا بحثنا بخاتمة جاء فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من إعدادنا لهذا البحث.

سنتناول منهجية الدراسة على ضوء ما يشيره موضوع العلم والدين عند " جون ديوي " لهذه الأسباب سنكون ملزمين بتوظيف أكثر من منهج لنتمكن من الإحاطة بجوانب الموضوع المتشبعة، بدءا بالمنهج التكاملي ذلك لدراسة ووصف وتحليل نظرة " جون ديوي " للعلم والدين، إلى جانب المنهج التحليلي بواسطته نحلل المفاهيم وصولا إلى المنهج المقارن الذي يمكننا من معرفة مدى أهمية هذا الموضوع وتأثير العديد من المجتمعات والمفكرين والعلماء به كونه يحتوي مجال العلم والدين.

بحثنا وتنقيبنا لم يمكننا من إدراك إلا بعض الأعمال والمؤلفات الغربية التي خاضت في هذا الموضوع نذكر منها دراسة: " إميل بوترو " العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، و " بوشنكسي " الفلسفة المعاصرة في أوروبا وغيرهم.

لم يخلو البحث من صعوبات رافقته من مراحله الأولى إلى لحظة الاكتمال التي هو عليها ومن أهم الصعوبات افتقار المكتبة من المصادر والمراجع التي تخص الموضوع، باعتبار الموضوع لم يسبق له وأن أقبل عليه، وهذا ما أدى بنا إلى الاعتماد الكلي على نسخ الكتب بصيغة (PDF) وهذا ما صعب عملية الإطلاع والتفحص بدقة، بالإضافة إلى تشعب الموضوع وعمقه الذي يزداد بزيادة الغوص فيه، كما أننا اعتمدنا على مصادر ومراجع أجنبية مما اضطررنا إلى ترجمة الفقرات المناسبة، وكما هو معروف عن الترجمة أنها لا تتم وفق ما يقصده صاحب النص الأصلي مما يفتح باب التأويل الذي يغير مجرى المضمون، ورغم ذلك اجتهدنا وقدمنا هذا العمل المتواضع .

الفصل الأول

دراسة جينيالوجية وكرونولوجية للفيلسوف جون ديوي

المبحث الأول: دراسة كرونولوجية

أولا : حياته الفكرية

لا يختلف اثنان على ما قدمه الفيلسوف الأمريكي الأشهر جون ديوي " JOHN DEWEY" إلى الفكر الأمريكي بشكل خاص و الفكر الإنساني بشكل عام, فقد كان عطاؤه غزيرا في مجالات مختلفة في ميادين العلم والمعرفة, كان"ديوي" مربيا وعالم نفس ومنطقيا وسياسيا بالإضافة إلى علمه فقدكان رجلامتواضعا صاحب أخلاق رفيعة وعلى هذا الأساس نجد"براتر ندرسل" يصف"ديوي" فيقول:"هورجل على أسمى خلق،ليبرالي في نظرته،كريم وعطوف في علاقاته الشخصية، لا يتلاعب في العمل،وإن أكاد اتفق اتفاقا تاما في معظم أرائه ولما أكنه له من احترام وإعجاب، فضلا عن خبرتي الشخصية برقة شمائله فكم أتوق إلى أن أوافقه موافقة تامة على أرائه[1]

ولد" جون ديوي" بمدينة برلنجتون (Burlington) وهي إحدى المدن الصناعية الصغيرة بمنطقة نيوإنجلند الأمريكية عام (1852/10/20م) ونشأ في أسرة بورجوازية صغيرة، فقد كان أبوه صاحب حانوت للبقالة.

وفي عام1875م التحق بجامعة فرمونت (vermont)،وتخرج فيها بأعلى درجات حصل عليها طالب في مادة الفلسفة. وبعد تخرجه أنفق ثلاثة أعوام في التدريس بالمدارس الثانوية وفي عام1879م نشر أول بحث له في الفلسفة في إحدى المجلات العلمية وقبل هذا البحث بثناء مما شجعه على احتراف الفلسفة .[2]

وشرع منذ عام 1882م في دراسته العليا للفلسفة بجامعة جونز هوبكنز حيث اجتذبته نظريات وفلسفة"هيجل" المثالية، ولم يلبث أن نال درجة الدكتوراه عن رسالته " علم النفس عند كانت" وذلك عام 1884، ثم حصل على درجة الأستاذية بجامعة ميتشيجن في هذا العام نفسه، وفي أثناء تدريسه بهذه الجامعة نشر عدة مؤلفات له في علم النفس، وانتقل بعد عشر سنوات إلى جامعة شيكاغو حيث عين رئيسا لقسم الفلسفة

---

[1] - رسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ت:محمد فتحي الشنطي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص476.

[2]- كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للنشر، بيروت، ط1، 1413ه_1993م، ص116.

وعلم النفس والتربية، وهناك أسس "مدرسة تقدمية" وكتب كثيرا في التربية، ولخص ما كتبه في هذه الحقبة في كتابه "المدرسة والمجتمع" الذي يعتبر أعظم كتاباته تأثيرا.[1]

احتلت المسائل الاجتماعية والسياسية شطر كبير من فكره، وقام بزيارات لدول شرق أسيا مثل الصين واليابان، وزار الدول الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، وكذلك تركيا والمكسيك وأخيرا زار روسيا.

ويعتبر "ديوي" من الداعين إلى الحرية والمساواة كما يدعو إلى التعاون وتحسين المجتمع من خلال الإصلاح التربوي وهو أيضا من مؤسسي إتحاد الحريات المدنية للأمريكيين وجمعية أساتذة الجامعات الأمريكية وتوفي "ديوي" في نيويورك عام 1952.

ثانيا : فلسفة جون ديوي

يعد"جون ديوي" من أهم الفلاسفة المعاصرين لاسيما في ميدان التربية والثقافة والتعليم، كما أنه يعد ناقدا متميزا في الفلسفة، فلم يترك مجالا من المجالات إلا فحصه ونقده وعمل على تعديله.الفلسفة في نظر "جون ديوي" لا تستعيد مجدها وقوتها إلا إذا ابتعدت عن معالجة مشكلات الفلاسفة واتجهت إلى حل مشكلات الناس أنفسهم، إذ تقوم فلسفة البراجماتية* **"philosophie pragmatisme"** فلسفة أشاعها في أمريكا كل من "تشارلز ساندر بيرس"(1859-1952)، و"ويليام جيمس"(1842-1910)، و"جون ديوي"(1859-1952) وقد سبق "جون ديوي" لنفسه في هذه الفلسفة خطة جديدة تعرف في بعض القراءات بفلسفة الوسيلة أو الفلسفة الآلية أو تدعى كذلك بفلسفة الذرائع.

ولقد اعتبر"جون ديوي"أن وظيفة الفكر هي وظيفة العقل ذاته وهي وظيفة إيجابية نشيطة وجذابة لا سلبية مستقبلية، غايتها إصلاح الفرد والجماعة، ويؤمن "ديوي" بأن فلسفته تصلح للوصول بالإنسان والجماعات إلى الحرية المنشودة[1].

---

*-البراغماتية، مشتقة من اللفظ اليوناني(pragma)، وتعني العمل، ويؤخذ منها كلمة عملي، وقد عرفها قاموس ويبستر العالمي بأنها تيار أنشأه تشارلز بيرس ووليام جيمس يدعو إلى حقيقة أن كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية، أنظر المعجم الفلسفي ، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، ص10.

[1]-كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع نفسه، ص117.

ويقول برتراند راس أنه كان نصيب آخر للمسائل الاجتماعية والسياسية في فلسفة "ديوي" وفكره، إذ كان مثلي شديد التأثر بزيارات قام بها إلى روسيا والصين وكان تأثره سلبيا في الحالة الأولى وإيجابيا في الحالة الثانية وكان مؤيدا عن كره للحرب العالمية ومع كونه ليبراليا في المسائل الاقتصادية فلم يكن ماركيسيا قط.[2]

ومن الوجهة الفلسفية على الدقة تكمن الأهمية الرئيسية لعمل "ديوي" في نقده للتصور التقليدي للحقيقة، فالحقيقة كما يصورها معظم الفلاسفة المحترفين ثابتة ونهائية، ومصطلح ديني يمكن توحدها مع أفكار الله ومع تلك الأفكار التي تشترك فيها مع الله يوصفها كائنات عاقلة، واهتمامات "ديوي" بيولوجية أكثر مع اهتمامات رياضية وهو يتصور الفكر كعملية تطورية والنظرة التقليدية، تسلم بالطبع بأن الناس يزدادون معرفة تدريجيا وبالرغم من أن الفلسفة الهيجيلية أثرت في "ديوي" في شبابه،وهذه الأمور لا يمكن أن يكون لها مكان في فكر "ديوي" الذي يرى كل واقع زمنيا وأن عملية التقدم وإن تكون تطورية ليست كما هو الشأن عند "هيجل" الكشف عن فكرة الأزلية.[3]

لا شك أن تأثر "ديوي""بيرس"و"بجيمس" خاصة كان واضحا سواء تعلق الأمر بعلم النفس أو الأخلاق حيث جمع بين الأصول البرجمانية التي وضعها بيرس في توجيه الفكر إلى العمل من جهة أخرى، فأسس فلسفته البرجماتية القائمة بذاتها والتي تهدف إلى :

1. أن تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد الناس على حل المشكلات للتكيف.
2. أن تكون للفلسفة آثار علمية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يطلبها الواقع المتغير، ومن غير ذلك فلا قيمة للفلسفة مهما كانت صحتها العقلية[4]

ومن هذه الأهداف التي رسمها "ديوي" لفلسفته يمكن إبراز مفهوم الفلسفة عنده وكذا منهجه فيها فهو يعرف الفلسفة على أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء

1-مجموعة من المؤلفين، معجم الفلاسفة الأمريكان من البراغماتيين إلى ما بعد الحداثيين تر: محمد الشيخ، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ،بغداد،ط1، 1436هـ-2015م، ص160.

2- رسل براترند ، تاريخ الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ج3، ص479.

3-رسل براترند، تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص480.

4-عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمان:دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2002، ص105.

وتحقيق حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائدة ويجعل من البيئة مصدرا أداتيا لغرس المعايير الأخلاقية في نفوس البشرية.[1] ويحصر "ديوي" مهمة الفلسفة في قوله: "إن الوظيفة المميزة للفلسفة، وإن مشكلات الفلسفة ومادتها تنشأ عما يحدث من ضروب التوتر في الحياة الاجتماعية التي منها ينشأ لون بعينه من ألوان الفلسفة.[2] أي أن الفلسفة وظيفتها تحديد المشاكل التي تحدث في الحياة الاجتماعية وذلك من خلال محاولة فهم التوتر السائد في الحياة الاجتماعية ومحاولة معالجتها والكشف عن حقيقتها.

ويعتقد"ديوي" أن الفلسفة كان لها دورا كبيرا في ظهور الحركة العلمية كعلم الفلك والفيزياء والتاريخ يثبت أن المناقشات الفلسفية التي اكتسحت مجالات الحياة قد أنجزت عملا كبيرا، إذ لولاها لما وصل العلم إلى ماهو عليه.[3]

ولقد دعا "جون ديوي" إلى تحديد الفلسفة من خلال معالجة قضايا الحياة الإنسانية المتغيرة بالبحث على أسبابها وحقائقها، وفي هذا يقول:"فمن العمليات التي يجب أن تضطلع بها الفلسفة المحددة، عملية مأواها أن تجمع وتعرض الأسباب التي تعلل زوال ما قد كان قائما من فصل بين ما هو نظري وما هو عملي.[4]

إن نظرنا إلى فلسفة"جون ديوي" بصفة عامة فإننا نلاحظ أنها عبارة عن فلسفة تجريبية التي تتخذ نقطة انطلاقها من الخبرة العامة، وذلك أن الفيلسوف في نظر "جون ديوي" لا يتميز بمقدرة خاصة تميزه عن باقي الناس، أو أسلوب أو منهج أو طريقة للمعرفة لا يتوافر لدى الرجل العادي، وإنها لابد للفيلسوف من أن يواجه شتى مشكلاته ابتداء من التجربة البشرية العادية .

ولقد عارض "جون ديوي" التجريدات الميتافيزيقية القيمة والتركيبات اللفظية ولقد كان تعلقه البالغ بالعين مجرد صدى لنزعته التجريبية المتطرفة فهو يؤمن بالدراسات العامة وفي نظره"فإن عالم الفيزياء على حق حين يبحث عن القوانين العامة للحركة،

---

[1]–هويدي يحي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د(ط)، 1993، ص138.

[2]–ديوي جون، تجديد في الفلسفة، تر: أمين مرسلي قنديل، مكتبة أنجلو المصرية، 1947، ص ص 9، 10.

[3]–ديوي جون، المصدر نفسه، ص27.

[4]– ديوي جون، المصدر السابق، ص55.

ولكن من المؤكد أن الباحث الميتافيزيقي ليس على حق حين يجعل موضوع بحثه هو الحركة بصفة عامة".[1]

والواقع أن الفيلسوف الميتافيزيقي يثير كثيرا من المشكلات العقيمة والمعضلات المعقدة التي لا تقبل الحل.

وليست تجريبة "ديوي" مجرد تجريبة آلية سكونية، بل هي تجريبة ديناميكية حركية، أو هي على الأصح تجريبة استمرار أو اتصال.

وتعتبر فلسفته واحدية طبيعية لأنه كان يؤمن بوحدة الحياة وتجانس الطبيعة ولقد شارك "ديوي" "ويليام جيمس" للإيمان بالكثرة والتعدد وعلى حين أن معظم الفلسفات الحديثة قد اتسمت بطابع الثنائية، فكانت تقيم تعارضا بين الروح والمادة، أو بين عالم القيم وعالم الواقع، أوبين العالم المعقول أو المحسوس وبين الخير والشر،أو بين الذات والموضوع ،إذ نجد أن "ديوي" قد أخذ على عاتقه تصفية كل تلك الثنائيات من أجل إظهارها على أن العقل ليس ملكة منفصلة عن التجربة ، أو قدرة متعالية تقودنا إلى عالم أسمى يضم سائر الحقائق الكلية، وإنما العقل باطن في الطبيعة مثله في ذلك كمثل أي شيء آخر وجوده ودلالته في صميم التجربة".[2]

إن اهتمام "ديوي" كان مركز أكثر على المشكلات الاجتماعية حيث يقوم بدراستها دراسة أشمل وأوسع على عكس المشكلات الفلسفية التي لا تتطلب إلا حلول تكتيكية خاصة وتتمثل المشكلات الاجتماعية في العراقيل والمخاطر التي تواجه المجتمع الديمقراطي الحديث في عصر الثورة الصناعية والتطور والتكنولوجية. وكانت نظرته في المنطق بمثابة نظرية في الأشكال العامة للتطور والاستدلال تقوم على نزعة أداتية ولم يستبعد الأحكام الأخلاقية لأنها لا تختلف تماما عن أحكام الواقع العادي العام للناس. وأما في دراسته الأخلاقية والتربوية والاجتماعية والسياسية، فقد انصب جل اهتمامه إلى المسائل القيمة التي تحكم السلوك البشري والخبرة البشرية،" وبالتالي فقد اتخذ مبدأ النتائج منهجا عاما للنقد الاجتماعي والتقييم الأخلاقي، وهكذا اتخذ "ديوي" من طبيعة النتائج المختلفة التي تترتب على النظم، والعادات، والتقاليد, والأفكار،

[1]-زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مصر، (د ط)،1968، ص62

[2] --زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (د ط)،1966، ص100.

والأنظمة الاجتماعية، معيارا للحكم على نوع الحياة البشرية السائدة في هذا المجتمع أو ذاك".[1]

والمعيار الأوحد لاختبار قيمة أية فلسفة إنما هو معرفة النتائج التي توصل إلى معرفة خبرة العامة للحياة العادية وذلك بتحليل ومعالجة مشكلات الحياة اليومية بإبقاء الضوء على مصاعب في الحياة العادية يجعلها مترابطة مع بعضها البعض لإيجاد الحلول، وهكذا نرى أن فلسفة "ديوي" البرجماتية فلسفة أساسها القيمة الوظيفية التي تقوم على إعادة بناء مستمر للخبرة البشرية العامة وحل المشكلات العميقة عن طريق التجربة والتقييم العام الذي يؤمن بالوحدة والتعدد والتجانس.

كما أنه اهتم بالتربية حيث استغرقت جل كتاباته، بل تكاد أن تكون همه الوحيد الذي سعى أن يطبقه ويجري التجارب لتعزيز ما يعتقد تجاهه، فكان من أول الأعمال التي قام بها عندما عين رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية، في جامعة شيكاغو عام 1994م أن أنشأ مدرسة تجريبية لتحقيق الربط بين النظريات التربوية وتطبيقاتها العملية وهدفه تجريب طرائقه ومناهجه الدراسية ووسائله في التنظيم المدرسي، التي لم يسبق إليها أحد، وهذه الطريقة هي لب فلسفة " ديوي " التربوية، والتي أطلق عليها (العادة المختبرية للعقل) والتي استعارها من بيرس.

ويبدو أن هذه الفكرة قد إستفادها " ديوي " عند إنتقاله إلى شيكاغو وملاحظته للإختلاف الكبير للحياة التي كان يعيشها في سرق أمريكا، وبين ما شاهده هناك، فلقد لاحظ أنهم في شيكاغو لا يؤمنون بالجلوس الهادئ على مقاعد الدراسة لتلقي التعليم النظري فقط، بل كانوا يقدسون العمل اليدوي إلى حد كبير، فهم لا يفترون للحظة عن العمل اليدوي الدؤوب فاثر ذلك فيه كثيرا، مما جعله يؤمن بأن مقياس الصواب هو النتائج، وعلى قدر ما تعطي النتائج من حل للمشكلات التي تواجه الطالب على قدر ما تتمتع بالصواب، بالإضافة إلى تأثير زوجته " أليس تشابمان " التي كانت تشتغل معلمة وأثرت في زوجها تأثيرا عظيما، فدفعته من الإهتمام بالفلسفة إلى الاهتمام بواقع الحياة

[1]-المرجع السابق، زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص64.

المعاصرة والتربية بشكل خاص[1] ، وتتلخص نظريته التربوية كما صورها في كتاب " عقيدتي التربوية " في الأمور التالية:

1 – إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا حصلته الإنسانية من الحضارة.

2 – تتم هذه التربية لا شعوريا، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل آخر .

3 – التربية تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى فالتربية ثمرة علمين هامين هما: علم النفس وعلم الاجتماع

ثالثا : مذهب جون ديوي

لقد انفرد "جون" وحده دون سائر "البرجماتيين" بما يسميه المذهب "الوسائلي أو الذرائعي" وهو أنه ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها أبدا، بل إن كل حقيقة إنما هي خطوة في طريق متسلسل طويل،

يؤدي في النهاية إلى حل مشكلة معينة، وهذا الأخير نفسه يستحيل أن يكون حقيقة قائمة بذاتها، بل إنه سرعان ما يصبح حلقة في سلسلة فكرية جديدة يراد بها حل إشكال جديد.[2]

ولقد استعمل "جون ديوي" هذا المذهب الذي يؤكد فيه أن كل فكرة هي بمثابة ذريعة أو وسيلة أو أداة لبلوغ هدف منشود، وكل ما يؤدي إلى هذا الهدف فهو حق وضعه التفكير تقاس بمقدار ما يحرزه من النجاح، وفي هذا يقول "ديوي": " أكل ما هدافا حقا فهو حق ". والهداية هنا خاصة بعملية البحث، أي عملية الانتقال من مشكلة إلى حلها [3].

ويؤكد "ديوي" كذلك على فكرة أن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة، فالفكرة أداة الفعل لديه، إذ يرى أن الفكر ما هو إلا أداة من أجل العمل، ولا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها، وبالتالي فإن الأفكار

1– رابح فاطمة، ساكتة فاطمة، مذكرة تخرج مقدمة لنيل ماستير في علم فلسفة العلوم موسومة بالتصور البراجماتي للحقيقة– وليام جيمس– أنموذجا– جامعة ابن خلدون– تيارت، 2014–2015، ص ص30،29 .

2–الأهواني، أحمد فؤاد ، نوابغ الفكر الغربي، (جون ديوي)، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1199، ص ص 104،103.

3–مهران محمد، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1404هـ–1984م، ص72.

ليس لها إلا قيمة أداتية أو وسيلة، وحسب . من هنا جاءت تسمية مذهب "ديوي" بالذرائعية.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن مذهب "ديوي" ألأداتي يقوم على حقيقة جوهرية أساسية وهي أن الأفكار، والتصورات، والنظريات، ليست سوى "وسائل" أو "أدوات" تنحصر كل قيمتها، ووظيفتها، فيها لها من قدرة على اقتيادنا نحو وقائع وخبرات مستقلة توصلنا إلى نتائج مثمرة في المستقبل.

يقيم "ديوي" مذهبه الأداتي على دعامة من التفسير المنطقي، فبسط لنا نظرية مسهبة في البحث أراد من ورائها أن يقدم لنا تاريخا طبيعيا للتفكير، في ضوء دراسته للظروف الاجتماعية والبيولوجية، والسيكولوجية، المحيطة بنشاط العقل البشري ولكن "ديوي" لم يقتصر على وصف التاريخ الطبيعي للتفكير، بل هو قد حاول أيضا أن يقدم لنا تفسير نظريا لوظيفة العقل البشري.[1]

ويقول "ديوي":" أن العقل هو أداة العمل ووسيلة المنفعة "،[2] أي أن العمل هو الوسيلة والأداة التي تساعد على تحقيق الغاية التي يسعى إليها الإنسان ابتغاء لتلبية حاجياته بالاعتماد على الخبرة وهو كذلك وسيلة لتحقيق المنفعة والمصلحة.

ولقد كانت اهتمامات "ديوي" واسعة المدى دائما تتجاوز نطاق الفلسفة الأكاديمية، ونستطيع أن نميز ثلاثة محاور أساسية في الفلسفة"لديوي" الأداتية ألا وهي " الترابط العضوي"، والتطور" أما المحور الأول وهو"الترابط العضوي" فقد كان راسخا في نفسه بتأثير دراسته الأولى لهيجل من ناحية، ولنظريات "هكسيلي" البيولوجية من ناحية أخرى، وظل "ديوي" نتيجة هذا التأثير على اعتقاد لازمه طيلة حياته بالتفاعل العضوي والتماسك الوثيق بين الأشياء، وهو ما دفعه أيضا إلى معارضة كل ثنائية في الفلسفة بين المادة والعقل، وبين التجربة والضرورة، بين الواقع والقيمة.

أما المحور الثاني هو "التطور" فقد تأثر فيه بدوران الذي لم يسلم أحد منه في ذلك الوقت، ويتضح هذا التأثير في نظرياته التربوية والاجتماعية والسياسية على حد سواء.[3]

---

[1]-زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع نفسه، ص66.

[2]-رافع سامح محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مديولي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ص51.

[3]-كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للنشر، بيروت، 1413هـ-1993م، ط1، ص118.

وأما المحور الأخير، وأعنى به "التجربة" فقد كان تراثا مشتركا في الفلسفة الانجلوسكسونية بوجه علم، وفي الفلسفة البرجماتية الأمريكية بوجه خاص.

وإن أمكننا تسمية نزعة "ديوي" "الأداتية بأنها تجريبية طبيعية على وجه التحديد، ويتذرع "ديوي" بالمنهج العلمي لإحداث التغيير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، لهذا سمي مذهبه بالمذهب الأداتي، لأنه يتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه من تغيير في مجتمع صناعي ديمقراطي، الذي نعيش فيه اليوم، أو على الأصح كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الراهن.[1]

رابعا : مؤلفات جون ديوي

إن ما أنتجه "ديوي" من مؤلفات كان كثيرا ومتنوعا، كانت له مؤلفات في مختلف ميادين العلم والمعرف، حيث كتب في مجالات عديدة أهمها التربية والتعليم والمنطق والفلسفة والعلم والأخلاق والسياسة، بالإضافة إلى ما كتبه في الشؤون الاجتماعية والحضارية.[2]

أول مقالة نشرها هي "الدعاوي الميتافيزيقية للمذهب المادي" في جملة الفلسفة النظرية 1882 The Metaphysical Assomptions Matérialisme "

وفي مجال التربية والتعليم كان له كتب أهمها :

- ✓ المدرسة والمجتمع 1900م(The School and Society)
- ✓ الديمقراطية والتربية 1916م (Democracy and Education)
- ✓ عقيدتي التربوية 1897م (My pedagogic GREED)
- ✓ التربية في العصر الحاضر 1940م (Education on Today)[3]

أما في مجال علم النفس والأخلاق فقد مثلها في كل من كتاب:

- ✓ علم النفس 1887م (Psychology)

---

[1]- كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق، ص119.

[2]-الأهواني أحمد فؤاد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص ص 15، 18 .

[3]-جعفر نوري، جون ديوي، مطبعة الزهراء، بغداد، 1954، ص ص 10، 20.

- ✓ كتاب علم النفس والمنهج الفلسفي 1899م(Method Psychology and Philosophic)
- ✓ كتاب الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني 1922 (Humman Nature and Conduct)
- ✓ كتاب الأخلاق 1907م (Ethics) الذي ألفه مع تافتس بالإضافة إلى كتاب دراسة في علم الأخلاق (The Study Of Ethics)

وفي المنطق كان له :

- ✓ دراسات في النظرية المنطقية 1903م (Studies in eogical Thesry)
- ✓ مقالات في المنطق التجريبي 1916م
- ✓ كتاب المنطق، نظرية البحث1939م(Logic :The Theory of Inquiry)

أما في مجال الفن والدين كانت له عدة مؤلفات:

- ✓ كتاب الفن والخبرة 1934م (Arts Escperience)
- ✓ الخبرة والتربية 1938م
- ✓ الذكاء المبدع 1917م
- ✓ الإيمان الشائع (المشترك)1934م (Acommon Faith)

وكانت له مجموعة من المؤلفات التي تعي بمجال الفلسفة كان أهمها:

- ✓ كتاب البحث عن اليقين 1929م(The quest For Certaunty)
- ✓ كتاب التجديد في الفلسفة 1920(Reconstruction in Philosophy)
- ✓ كتاب الخبرة والطبيعة 1925م (Experience and Nature)[1]

وكانت له كتب ومؤلفات أخرى:

- ✓ الطفل والمنهج الدراسي 1902م
- ✓ كيف نفكر 1910م
- ✓ كتاب الفلسفة الألمانية والسياسية 1915م
- ✓ كتاب الفردية قديما وحديثا 1930م

[1]-فؤاد كامل، أعلام الفكر المعاصر، المرجع السابق، ص 117.

✓ كتاب الحرية والثقافة 1939م[1]

المبحث الثاني : دراسة جينيالوجية

نستهل حديثنا في هذا المبحث عن أهم المفاهيم التي تمثل الأداة الفاعلة من أجل فهم محتوى الموضوع، ولذلك ارتأينا إلى التعريف بها مستندين في ذلك على مختلف المعاجم منها اللغوية والفلسفية بالإضافة إلى التعريف الاصطلاحي، ومن هنا وجب تقديم وتحديد كل مفهوم على حدي.

أولا : مفهوم العلم Sience

العلم هو الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا يقينيا كان أو غير يقيني، ويطلق على التعقل، أو على حصول صورة الشيء في الذهن أوعلي إدراك الكل مفهوما كان أو حكما، أو على الاعتقاد والحازم المطابق للواقع، أ, على إدراك الشيء على ما هو به، أوعلي إدراك حقائق الأشياء وعللها، أو على إدراك المسائل عن دليل، أوعلي الملكة الحاصلة عن إدراك تلك المسائل.[2]

ويعرف العلم في المعجم اللغوي على أنه "نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نف نفسه".[3]

ومن خلال التعاريف يتضح أن العلم هو اللغة "تعني إدراك الشيء على ما هو عليه أي حقيقته وهو اليقين والمعرفة"[4]، أي أن العلم ضد الجهل لأنه إدراك كامل، وأما اصطلاحا:" فهو جملة الحقائق والوقائع والنظريات ومناهج البحث التي تزخر بها المؤلفات العلمية"[5]، وبالتالي فهو مجموعة المعارف الدقيقة والمتخصصة حول موضوع محدد والتي تهدف إلى اكتشاف قوانينه.

---

[1]–معجم الفلاسفة الأمريكان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثين، المرجع السابق، ص 159.

[2]–صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، (دط)، 1983، ص 100.

[3]–ابن منظور : لسان العرب، مج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص3083.

[4]–محمد عبد النبي سيد غانم: المنجد في اللغة، دار المشرق العربي، بيروت، ط 6 ، ص 527.

[5]–عبد الله العمري: ظاهرة العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د(ط)، 1983، ص276.

وفي تعريف أخر للعلم أو نستطيع القول المعنى العام لمفهوم العلم فهو "المعرفة بكل أنماطها".[1]

والعلم مرادف للمعرفة connaissance"، إلا أنه يتميز عنها بكونه "مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم"[2]، وبالتالي هو فرع من فروع المعرفة أو الدراسة خصوصا ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والنتائج بواسطة التجارب والفروض.

ويعرفه قاموس أكسفورد بأنه" ذلك الفرع من الدراسة التي تتعلق ويجسد ترابط مجموعة من الحقائق الثابتة والمصنفة والتي تحكمها قوانين عامة وتحتوي على طرق ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة"[3]، أي أن العلم يقوم بالنظر في الحقائق الثابتة عن طريق الطرق والمناهج الموثوق بها لاكتشاف الحقيقة.

وبالتالي العلم هو المنهج الذي يسعى للوصول إلى مجموعة مترابطة من الحقائق الثابتة المصنفة والقوانين العامة والعلم مرتبط بالمنهج "فكلمة علم للدلالة على مجمل المعرفة التي يصار إلى جميعها بواسطة المنهج العلمي".[4]

أو هو كما جاء في قاموس ويستر "المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب والتي تقوم بغرض تحديد طبيعة وأصول ما تم دراسته".[5]

ومن هنا فإن جميع المحاولات التي تقوم من أجل تحديد مفهوم العلم حول حقيقة أن العلم هو جزء من المعرفة يتضمن الحقائق والمبادئ والقوانين والنظريات والمعلومات الثابتة والمنسقة والمصنفة والطرق والمناهج العلمية الموثوق بها لمعرفة واكتشاف الحقيقة بصورة قاطعة ويقينية.

---

[1]-محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 1990، ص5.

[2]-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ج2، ص99.

[3]-دليل أكسفورد للفلسفة: ج1، من حرف أ إلى حرف ط –تح: تدهور ندرتش، تر: نجيب الحصادي، ص103.

[4]-جون كيمني: الفيلسوف والعلم، تر: أمين الشريف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت،1969، د(ط)، ص208.

[5]-قاموس ويستر الجديد للقرن 20 باللغة الإنجليزية نقلا عن كتاب أساليب البحث العلمي وكامل المغزى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص 15.

والعلم كما وصفه بوبر في كتابه عقم المذهب التاريخي، "منفرد بوضعه من أعظم المغامرات الروحية التي عرفها الإنسان وفي تعريف آخر، بمعنى science يختلف تماما عما كان يقصده الأوائل اليونانيون، فنحن نتحدث عن أكاديمية العلوم وعن الثقافة العلمية وتطبيقات العلم في مجال التكنولوجيا"[1]، بمعنى أن العلم مرتبط بالتقدم العلمي وتطور مناهجه العلمية في مجال التكنولوجيا.

ثانيا: مفهوم الدين

1-لغة : الدين في اللغة هو العادة، والحال، والسيرة، والسياسة، والرأي، والطاعة والجزاء، ومنه مالك يوم الدين، وكلمات تدين تدان.[2]

2-اصطلاحا: الاعتقاد بقيم يقدسها المتدين، ويقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

وتشمل كلمة الدين بعمومها أديان أهل الأرض بكاملها وهي نوعان متضادان من حيث المصدر: أديان إلهية سماوية نتلقى الوحي من الله بواسطة رسله،

وأديان وضعية أرضية تقوم على أفكار الأفراد وميولهم.[3]

ويعرف الدين كذلك على أنه مجموعة من عبادات مقدسة ومعتقدات تؤمن وتتمسك بها جماعة معينة، تقوم على أساس العقل والوجدان والحاكم فيها الفرد والمجتمع على حد سواء.

ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يدعو ذوي العقول إلى الخير، والفرق بين الملة والمذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى دينا، ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا والفرق بين الدين والملة، والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول صلى الله عيه وسلم، والمذهب منسوب إلى المجتهد وكثير من أستعمل هذه الألفاظ بعضها العض مكان بعض.

وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة عدة معاني :

---

[1]-عبد القادر تبشه: الإبستومولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية، دار المطبعة، بيروت، ط1، 1995، ص 11.

[2]-صليبا جميل، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص72.

[3]-جواد مغنية محمد، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د(ط)، ص 40.

الدين يعتبر جملة من الإدراك والمعتقدات والمقدسات والأفعال الحاصلة للنفس جراء حبها لله، وعبادتها إياه،وطاعتها لأوامره.

والدين هو كذلك الإيمان والتمسك المطلق بالقيم والعمل بها، كالإيمان بالعلم، أو الإيمان بالنجاح، أو الإيمان بالإنسانية.....، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبد الذي يحب خالقه، ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه ومعاصيه ويعمل بما شرعه ليكسب محبته ورضاه.

أما هيجل "فيرى أن الدين هو الروح واعيا جوهره، هو ارتفاع الروح من المتناهي إلى اللامتناهي، وهكذا فإن مفهوم الدين عند "هيجل" يتحدد على أنه بحث المتناهي عن اللامتناهي، بحث الإنسان عن المطلق ، ولقد ودعت الإنسانية فيما يعتقد "هيجل" أفكارها التي كونتها عن هذا الموضوع في الأديان بالإضافة إلى آرائها عن موقف الروح الإنساني من الألوهية والخلود,[1]

ونجد كذلك الفيلسوف الألماني كانط الذي يقول :"أن الدين هو معرفة جميع واجباتنا بواصفها أوامر إلهية".[2]

ويقدم "لالاند" ثلاثة تعريفات في معجمه الفلسفي:

أ_ مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين(1)، بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ(2)، بالاعتقاد في قيمة مطلقة لا يمكن وضع شيء آخر في كفه ميزنه.

وهو اعتقاد تهدف الجماعة إلى لفظه(3) ينتسب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة، وإما كثيرة وإما وحيدة هي الله.
ب_ الدين هو تحديد المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان إلى جانب وجهة نظر العلم.[3]
ولقد عرفه قاموس أكسفورد: أنه من المعتقدات والرموز والممارسات (كالشعائر مثلا) التي تنهض على فكرة المقدس، والتي توحد بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي[1].

---

[1]–عثمان محمد، مدخل إلى فلسفة الدين، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001. ص18.

[2]–الدين جلال، سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 201.

[3]–لالاند أندري، المعجم الفلسفي التقني، المرجع السابق، ص1204.

والدين عند ابن خلدون لا يكون إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه لأنه الحق الذي ينبغي أن يتقرر لدى الفرد.

ويعرف "دوركايم" الدين فيقول"إن الدين هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة، أي منفصلة، محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد، يدعى جامعا كل الذين ينتمون إليه."[2]

ويتضح لنا من خلال التعريف الذي قدمه "دوركايم" للدين أن الدين عنده يقوم على مجموعة من المعتقدات والعادات التي يمارسها الأشخاص التي تتعلق بأمور مقدسة مبني على أسس ديني، وتوحد الأشخاص وتدعوهم إلى تطبيق وممارسة هذه العادات والمعتقدات بتمسك بالعامل الأخلاقي الصحيح.

ونجد تعريف آخر للدين الذي يعرفه على أنه مجموعة من المعتقدات والرموز والممارسات التي

تنهض على فكرة المقدس، والتي توحد بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي[3]، وهذا التعريف يربط الدين بالممارسات والعادات التي يقوم بها المجتمع كالشاعر مثلا والتي تنهض على فكرة المقدس وفكرة الأخلاق .

وللدين تعريفات مختلفة في علم النفس، ومن أهم وأشهر التعريفات النفسية تعريف "أريك فروم" في كتابه التحليل النفسي والديني، وهو يعرفه بأنه أي مذهب للفكر والعمل وتشترك فيه جماعة ما، ويعطي للفرد إطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة[4].

ولقد عرف " الرازي " الدين لغويا فقال: الدين بالكسر : العادة والشأن، ودانه يدينه دينا بالكسر، أذله واستعبده فدان، وفي الحديث " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أو الدين أيضا: الجزاء والمكافأة، يقال: دان يدينه دينا أي جازاه، ويقال كما

---

[2]–مارشال جوردون، موسوعة علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ج2، ط1، 2000، ص751.

[2]–دوركايم إميل ، الصور الأولية للحياة الدينية، عن لالاند معجم لالاند الفلسفي التقني، 3/، ص 1206.

1–جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماعالمرجع نفسه، ص751.

[4]–إريك فورم، التحليل النفسي والدين، تد: فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، 1977م، ص25.

تدين تدان، أي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت، ومنه الديّان في صفة الله تعالى والمدين العبد والمدينة الأمة[1].

الدين عند "جون ديوي": "هو مجموعة من المعتقدات والشعائر التي لها نوع من التنظيم القسي عل نحوها سواء أكان فضفاضا أم ضيقا أصم وعلى نقيض ذلك فإن صفة من الدين ديني، لا تدل على شيء من قبيل وحدة نوعية بالذات سواء أكانت تنظيمية في صورة مؤسسات.

[1]- عثمان محمد، مدخل إلى فلسفة الدين، المرجع نفسه، ص11.

1

[1]- والف وين: قاموس جون ديوي للتربية، مختارات من مؤلفاته، تر: محمد علي العريان، مكتبة أنجلو المصرية، فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، د(ط)، 1964، ص ص 112، 113.

إذا حللنا هذا التعريف اللغوي، فيمكن تسجيل الملاحظات التالية:

1)- الدين في اللغة هو العادة ويعتبر العادة لأن الناس لا تستطيع أن تعيش بدون دين، فالدين عادة إنسانية وضرورية لاستمرار الإنسانية.

2)- وكذلك يكشف التعريف اللغوي للدين على أنه قريب من الحال الإنساني، فالدين نظام اجتماعي يجعل المجتمع يعيش في حالة منظمة بعيدا عن الفوضى والشتات.

3)- ومن الدلالات اللغوية لكلمة الدين: الجزاء من ذلك قولهم " كما تدين تدان."

ولقد عرف أهل الإصطلاح من أصحاب المعاجم والكتب التعريفات العربية، الدين بتعريفات متنوعة منها:

الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم، كذا عبر ابن كمال، وعبارة غيره وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، وقال الحرالي: دين الله المرضي الذي لا ليس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له، هو إطاعة تعالى عبده على قيومته الظاهرة بكل باد وعلى باد وأظهر من كل بدو عظمته الحقية التي لا يشير إليها اسم ولا يجوز رسم هي مداد كل م

ومن هنا فإن الدين بشكل عام هو علاقة الوعي الذاتي بالله أو بالروح المطلق الذي يحقق ذاته في ذلك الوعي الذي من أجله الذات يكون وجوده.

ويعرف الدين كذلك على أنه مجموعة من عبادات مقدسة ومعتقدات تؤمن وتتمسك بها جماعة معينة، تقوم على أساس العقل والوجدان والحاكم فيها الفرد والمجتمع على حد سواء.

ويطلق الدين على وضع إلهي يدعو ذوي العقول إلى الخير، والفرق بين الملة والمذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى دينا، ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا والفرق بين الدين والملة، والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول صلى الله عيه وسلم، والمذهب منسوب إلى المجتهد وكثير من أستعمل هذه الألفاظ بعضها العض مكان بعض.

الفصل الثاني

العلم والدين عند جون ديوي

المبحث الأول : العلم عند جون ديوي

العلم عند ديوي هو عملية وظيفية أو نشاط وليس هو بالتخزين من المعارف، ويؤكد إن العلم يدل في فحواه على وجود طرق منظمة للبحث بحيث أنها عندما تطبق على سلسلة من الحقائق تمكننا من أن نفهمها على نحو أحسن وأفضل، وإن نتحكم فيها ونضبطها بطريقة أكثر ذكاء وأقل اعتباطا ومصادقة وتبسط أمثال في النمطية والرتابة وإطراء النسق الروتيني[1]، ويتضح لنا من خلال هذا أن العلم هو نشاط عملي وظيفي يطبق على سلسلة من الحقائق التي تمكننا من فهمها على أحسن وأفضل وللوصول إلى الحقيقة العلمية.

والعلم عند "ديوي" له علاقة بالمعرفة والمنطق فيقول" إن العلو هو المعرفة الناجحة عل أساليب الملاحظة والتفكير والتجربة التي يعتمد الإنسان استعمالها للحصول على مادة مقررة والعلم ككل معرفة هو نتيجة الفعالية التي تؤدي إلى تغيير البيئة، يبدو أن المعرفة الحاصلة من العلم هي العامل البسيط على هذه الفعالية لا مجرد عرض من أعراضها، فالعلم هو تدقيق المعرفة وطورها الآخر، هو التوصل إلى المتضمنات المنطقية لأي ضرب من ضروب المعرفة ولكنه الشكل الملائم للمعرفة المدققة[2] .

يمكننا القول من أن العلم له علاقة بالمعرفة والمنطق، لأن المعرفة في العلم تقوم على أساليب الملاحظة والتجربة والتفكير، ويمكن القول أن المعرفة هي تحصيل حاصل للعلم، فالعلم هو الجانب الآخر للمعرفة وهو شكل من أشكال المعرفة .

لقد حدد ديوي خمس خطوات للتفكير وهي :

أ-الاقتراحات حيث يقفز العقل لحل ممكن.

ب-التعقل (العقلانية) الصعوبة أو الحيرة (التشويش) الذي يتم الشعور بها في المشكلة التي يرغب حلها والسؤال الذي ينبغي البحث عن إجابة له.

---

[1]-عمر محمد الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية. الدار العربية للكتاب، لبنان، ط3، 1982، ص342.

2-JOHN DEWEY AND ATHER BENTLY ,KNOWING AND THE KNOW THE BACOM,(BOSTON, 1994, P104

ج-استخدام مقترح بعد آخر كفكرة مستقلة أو فرضية للشروع في توجيه الملاحظة والعمليات الأخرى اللازمة لجمع الحقائق.

د-التوسع العقلي للفكرة أو الافتراض كفكرة (فرضية) واستنتاج بالمعنى الذي يكون فيه هو الجزء وليس الكل.

هـ-اختيار الفرضيات من خلال عمل صحيح أو تخيلي.

الوظيفة الأولى:

الاقتراح: من الأمور الطبيعية التي يقوم بها أي فرد هو أن يذهب مباشرة للقول بأن عمله مقلق وهذه الحالة المرتبكة (المحيرة) من شأنها أن تعرقل عمله مؤقتا ومع ذلك يتواصل الميل للاستمرار في عمله. إن العمل يأخذ شكل فكرة تؤدي إلى العديد من الاقتراحات أو اقتراح واحد فقط.

وهذا يؤدي إلى المزيد من التساؤلات التي توقع الإنسان في التوتر مما يؤدي إلى حالة التأخير في التفكير، فالتفكير كما يعبر عنه سلوك يدور حول نفسه ليتفحص هدفه أو غايته أو شروطه أو مصادره وصعوباته[1].

الوظيفة الثانية:

التعقل: لاحظنا أنه من المستطاع تعلق الأمر بالتفكير الشروع بمشكلة جاهزة، مشكلة مصنوعة من نسيج واحد أو ناجمة من فراغ.

ففي الواقع إن مثل هذه المشكلة ببساطة مهمة، ومحددة، فليست هناك في البداية موقف ومشكلة أكثر من وجود مشكلة وليس فيها موقف، فهناك حالة محيرة تكمن صعوباتها في أنها تضع الحالة كلها وتؤدي إلى العديد من التساؤلات، وهذا يؤثر على استيعابنا للمشكلة بشكل أو بآخر غامضا ومؤقتا، فالصعوبة حيث

[1]-والف وين، قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص150.

تصبح المشكلة الحقيقية يمكن التفكير بها عقليا، لهذا يجب على الشخص أن يحدد المشكلة بشكل دقيق ووضع الحجج لتغطيتها وإعطاء كثير من الوقت للعمل فيها[1].

وغالبا ما تبدو كلمة مشكلة من الكلمات المعقدة بحيث يصعب استخدامها للإشارة إلى ما يحدث في حالات انعكاس القليلة، إلا أنه في أي حالة يتم فيها نشاط انعكاسي هناك عملية تعقل (عقلية) تكون في البداية مجرد سمة عاطفية للحالة بأكملها ويتأثر هذا التحول بالملاحظة الأدق للظروف والتي تكون المشكلة ويتسبب بغلق العمل.

الوظيفة الثالثة:

الفكرة الموجهة (الافتراضات):يحدث الاقتراح الأول تلقائيا، فالفكرة قد تأتي وقد لا تأتي هذا هو كل ما يمكن قوله فليس هناك أي نشاط ذهني (عقلي) حول حدوثها، فالنشاط الذهني العقلي يكون فيما ننوي التصرف إزائها، ونحصل على فكرة أفضل للحل المطلوب، إن الحقائق والبيانات حدوث المشكلة أمامنا يساعد على تصحيح وتعديل وتوسيع المقترحات لنصل إلى افتراض محدد أو يكون أكثر تقنية ليصبح فرضية[2].

الوظيفة الرابعة:الاستنتاج (من خلال الوقائع والمقترحات بالمعنى الضيق):

ترتبط الملاحظات بما يوجد في الطبيعة إنها تحوي الحقائق، وهذه الحقائق هي التي تنظم تكوين الاقتراحات والأفكار والفرضيات وتختبر قيمتها المحتملة كمؤشرات للحلول.

ويساعد الاستنتاج على توصيل المعرفة بالاعتماد على التسهيلات التي توجد بتواصل المعرفة وجعلها عامة كمصدر مقترح وللاستنتاج تأثير على المقترح من خلال إجراء الملاحظة الدقيقة للمشكلة الأصلية، والاقتراحات التي تبدو في البداية ملائمة ومستمرة لتطوير الفكرة من خلال الاستنتاج[3]

---

[1]-والف وين، قاموس جون ديوي للتربية، ص150.

[2]-المرجع نفسه، ص151.

[3]- والف وين، قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص151.

الوظيفة الخامسة:

اختبار الفرضية بالفعل (التطبيق):أن المرحلة الأخيرة تعد نوعا من الاختبار من خلال العقل (التطبيق) إعطاء التجارب والأفكار الحدسية مصداقيتها، عن طريق البرهنة عليها[1].

أولا : المعرفة

إن السعي خلف المعرفة والحقيقة كان دوما محور نشاطات الإنسان المختلفة، إذ أن المعرفة ضرورة للقيام الإنسان بنشاطاته المتعددة، فإذا ما كان بالإمكان الوصول إلى الحقائق المطلقة الثابتة، فإن الإنسان لاشك يسعى إليها ويحتمي بها من التغيرات المستمرة، وقد جذبت هذه الفكرة الكثير من الأفراد إلى مثل هذه المعرفة المطلقة والحقيقية في العالم الواقعي، ولتجعل الإنسان يدرك ما يجري حوله في العالم الواقعي، إلا أن البراجماتية وعلى رأسها "جون ديوي" يرفض هذه المفاهيم، ويقول بأن الحقائق والمعرفة المطلقة الثابتة غير قابل للتعديل، لا يمكن للإنسان الحصول عليها في عالمها.

ويتضح إن مفهوم "ديوي" للمعرفة قائم على أنها غير مطلقة، أنها خير ما يوجد من معارف مجربة ومختبرة، وتستعمل في حل المشاكل التي تتطلب تطابقها وإنها نتاج الخبرات والتجارب الناجمة عن تفاعل الإنسان الكامل مع بيئته أثناء قيامه بنشاطاته الواسعة الشاملة[2].

ويتضح لنا كذلك أن ديوي يعترض على وجود حقائق مستمرة ثابتة، فالمعرفة طريق مفتوح للنشاط الإنساني الخلاق.

اكتست البراجماتية الأمريكية طابعا خاصا على يد "جون ديوي" الذي جمع بين المادية العلمية وأراء "وليام جيمس". وبينما كان مذهب جيمس يتجه على الخصوص وجهة دينية، وبينما كان يريد إقامة مذهب إنساني فلسفي، فإن "ديوي" يتجه اهتمامه كله ناحية العلوم الطبيعية، وهو يأخذ بالمذهب السلوكي الذي

---

[1]-المرجع نفسه، ص152.

[2]-صالح هاني: فلسفة التربية، الأردن، عمان، 1976، ص78.

قدمه والمسن، وهو المذهب الذي يقولك" إن العقل ما هو إلا ما بفعله الجسم." ، وانتهى ديوي إلى أنه لا توجد معرفة خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية[1]

ويعني ذلك أن الأفكار التي كانت في العصور السابقة، التي لم تتوصل إلى التكنولوجيا والتطور العلمي التي يعرفها العصر الحديث الذي يقوم على العصرنة والتكنولوجيا، إذا كان المفكرون في العصور السابقة يبحثون عن أسباب الأعمال خارج نطاق التجربة أي في عالم الميتافيزيقا، فإن هذا غير ممكن اليوم، وذلك برفض كل الأفكار التي تتعالى على الطبيعة في هذا العصر المتقدم.

إن المعرفة عند "ديوي" كانت قائمة على أساس البدء من الذكاء لا من العقل أو الذهن أو الذات العارفة، إذا أن هذه البداية الأخيرة هي التي أغرقت نظرية المعرفة والعلم في الميتافيزيقا، ودخلت نظرية المعرفة على ما يطلق عليه "ديوي" اسم (حرب الفلسفات)، والمعرفة عنده هي تجريبية أصلية[2].

وفي نظر "ديوي" إن العلوم إنما تعنى بالمعرفة لذات المعرفة، وقد يظهر لأول وهلة أن ما يجمعه العلماء من القواعد العلمية النظرية ليس له مساس بما تتطلبه الحياة العلمية من الحاجات، ولهذا يرى "ديوي" أن موضوع التفكير ليس شيئا له وجود بالفعل، بل هو أمر يخلقه العقل تدريجيا بقوة فعله[3].

لقد عرف "ديوي" المعرفة بأنها(سبيل الطريق) فكري يتضمن قوانين نفسية تختص بالعقل وهي ضرب من نشاط تمارسه النفس، ومن ثم فإن نوعا معين من المنشط الذاتي استلزم قيامه أصلا في الحقائق المادية في العلم الطبيعي فهذه الحقائق يعرفها العقل فلذلك فهي تقع في دائرة اختصاص علم النفس، على نحو ما وبناء على ذلك فإن هذا العلم هو شيء أكثر من علم موجود بجانب العلوم الأخرى، وإنما هو مركزي لأن موضوعه المعرفة التي تتضمن فيها جميعا[4].

---

[1]-بوشنسكي، إ،م، ند: د.غرت قرني، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، كويت، د(ط)، 1413هـ-1992م، ص199.

[2]-هويدي يحي، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص129.

[3]-والف، أ، نقله إلى العربية د: أبو العلا العفيفي، فلسفة المحدثين و المعاصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2،ص 109.

[4] -John Dewey ,How think, Health and co, New York, 1933, p133

ويتضح لنا من خلال هذا التعريف أن المعرفة هي نشاط تقوم به النفس عن طريق قوانين يكون العقل هو محركها.

فنظرة "ديوي" للمعرفة تقترن بالعمل ولم يعد النشاط لمجرد النشاط، ولا نستطيع تنظيم الظروف التي تعتمد النتائج عليها إلا بالعمل الذي يهتدي بالذكاء الذي يحيط بمعرفة جميع الظروف ويلاحظ العلاقات والنتائج ويضع في ضوء هذه المعرفة الخطط ويقوم بتنفيذها ولذلك قال "ديوي" إن المعرفة بحسب طرائق البحث العلمية في الوقت الحاضر قد هجرت تماما الفصل المأثور بين المعرفة والعمل وإن الطريقة التجريبية من شأنها أن تضع العمل قلب المعرفة[1].

يمكننا القوال أن المعرفة التي دعي إليها ديوي هي معرفة تعتمد على العمل والنشاط من خلال أو عن طريق التجربة، وذلك للحصول على نتائج التي تواؤم ظروف هذا العمل، ويرى ديوي كذلك أن العمل يهتدي بالذكاء الذي يحيط بالمعرفة ويسهل عملية تنفيذها.

والمعرفة كذلك عند "ديوي" حصيلة متراكمة متطورة لطرق في العمل والفعل والسلوك التي يمتلكها البشر لإدامة زخم عملية تطوير وتغيير بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، هذه العملية التي تتصف بالاستمرار والتغير حيث يتم بها اختيار وتوسيع وتطوير المعارف من جهة وإحداث التبديل في بيئتهم من جهة أخرى، ذلك أن الإنسان عند "ديوي" يعد جزء من البيئة الطبيعية ومن تفاعلاتها فإنه يرى أن الخط الفاصل الذي يتوجب عليه رسمه ليس بين العمل والفكر بل بين العمل غير البصير والخاضع وعديم المعنى

والعمل الحر ذو دلالة والوجه والمسؤول[2].

فما يميز الإنسان هو عمله القصدي والموجه والذكي لإعادة بناء وتشكيل وإخضاع ظروف الطبيعة وفقا لحاجات الإنسان الواسعة المتجددة بتغيير ظروف وأحوال بيئته، والطبيعة عند "ديوي" هي أم الإنسان وموطنه الأصلي ولو أنها قد تستحيل في بعض الأحيان إلى أم رديئة شرسة أو إلى وطن معادي مشاكس

[1]-ديوي جون : الخبرة والتربية، تد: محمود البسوني، ويوسف حمادي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص ص 14-45.

1-Adolphe, Meyer, The development of Education in the twntirth century (second Ed) , New York, 1950, p43.

عديم الألفة ولكن مجرد دوام المدينة، واستمرار الحضارة إن لم نقل تقدمها في بعض الأحيان إنما هو الدليل على أن أمال الإنسان تلقى في الطبيعة دعامة وسندها[1].

ولقد انتهى ديوي إلى أن وظيفة الفلسفة تتجلى في الدور الذي يجب أن تنهض به في سبيل حل مشاكل الإنسان[2]، عن طريق تغيير الواقع لا بتفسيره كما عهدته الفلسفات السابقة والذي يتم بتغيير الناس أنفسهم حتى يتمكنوا من إنشاء قوانين التي تتماشى وظروفهم المتغيرة، إنه تغيير يقوم على إحداث ثورة على الواقع يرفض كل القيم الفاشلة التي أفضت إليها الفلسفات المجردة[3]، وبناء على ذلك فإن ديوي نظر إلى المعرفة بمعيار جديد يواكب التقدم العلمي الذي عرفته الإنسانية، فرفض الأفكار المثالية المتعالية والأفكار الكلاسيكية وأكد على أهمية التجربة الدينامية الحركية المتطورة.

ولقد ارتبطت البراجماتية البيولوجية، أو بعبارة أدق الرؤية البيولوجية البراجماتية، "لجون ديوي""، ترى أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته، فالتأقلم الناجح المؤدي إلى البقاء والنمو بمثابة المعيار على صدق الأفكار[4]، ويعني هذا أن الكائن العضوي بحاجة إلى الفكر ليتأقلم ويتوافق مع بيئته، وليضمن البقاء والنمو المستمر.

إن نظرية المعرفة تعتمد على التجربة الشخصية الجزئية النسبية بغرض النفع، لا التجربة العلمية التي غايتها العلم، فالعقل عندها يعني الشخصية المحدودة فحسب، والمعرفة هي ما يجعل لأجل الفرد، ويتبع ذلك أن يصبح لكل فرد حقيقته، ولقد بلور "ديوي" في كتابه (نظرية البحث)، وجهة نظره في المعرفة، ولخصها بقوله "إنه مادامت كل حالة خاصة من حالات المعرفة قومها النتيجة التي أنتجها بحث معين، إذن لن يكون تصورنا للمعرفة بصفة عامة إلى تعميمها للخصائص التي أوجدتها تصف النتائج التي نتجت عن عمليات

---

[1]-ديوي جون: البحث عن اليقين، تد: أحمد فؤاد، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، ص ص 60-61.

[2]-جديدي محمد: فلسفة الخبرة "جون ديوي أنموذجا " المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص218.

[3]-طويل توفيق: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1981، ص 299.

[4]-مهران محمد: مدخل إلى فلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص45.

البحث المختلفة[1]، أي أن المعرفة باعتبارها كلمة مجردة، فالمعرفة اسم يطلق على عمليات البحث حيث تتصف كلها بالكفاية، ولو أننا غضضنا النظر عن هذه الصلة بين المعرفة وعمليات البحث التي أنتجتها أصبح معنى الكلمة فارغا بحيث يستطيع من يشاء أن يملأه بما شاء من مضمون أو محتوى كاذبا وغير مفهوم، أما هذا حددنا المعنى العام للمعرفة على أساس الناتج التي يتمخض عن البحث في شتى ميادينه، وكان لهذا المعنى العام في هذه الحالة أثر مهم بالنسبة إلى معنى البحث نفسه، فإنه يدلنا على أن البحث عملية متصلة بالمعرفة مهما يكن نوع المجال الذي يدور فيه لنصل في النهاية إلى معرفة حقيقية تقوم على مبادئ علمية بعيدة عن الكذب والمضمون الفارغ.

ويوضح "ديوي" أنه يجب ألا يسلم بأن كل حالة خاصة من حالات المعرفة، قوامها النتيجة التي أنتجها بحث معين، ويترتب على هذا أن المعرفة بصفة عادية ينبغي أن تكون منحصرة في تعميم الخصائص التي تصادف نتائج الأبحاث المختلفة، عندما تتصف تلك الأبحاث بالكفاية، والمعرفة بهذا المعنى العام تؤثر تأثيرا مهما بالنسبة إلى معنى البحث ذاته، فتدل على أن البحث عملية متصلة .

والمعرفة الناتجة من التفكير هي في صميمها معرفة تجريبية بالمعنى الطبيعي الذي تحكمه كلمة تجريبي، فما لم تختبر الأفكار، فلن يفيض لها أن تتحول إلى معرفة، والواقع أن المعرفة لا وجود لها إلا إذا أفضى التفكير إلى فعل تجريبي يحقق ما ذهب إليه، ولكن الموضوع هنا موضوع معرفة حيث كان التفكير أولا في ذلك، أي أن التفكير قد سبقه، والمعرفة يجب أن تكون موضوعية، ولا يتم لها ذلك إلا إذا تحققت في الواقع التجريبي[2]، ويتضح للباحث التجريبي أنه يؤمن بالتجربة كأداة وأساس وحيد للمعرفة، فكل معرفة صحيحة عنده آتية عن طريق التجربة، وحتى الأفكار ومناهج البحث، تقوم على أساس التجربة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن التفكير السليم برأي"ديوي" هو الوصول إلى صلب المعضلات ثم تعريضها بعد ذلك للتجربة، فإن أكدت التجربة افتراضنا نكون قد حللنا الأشكال، مما يسمح لنا بمزيد من التقدم وهكذا تنمو معارفنا في مختلف المجالات، وتختلف باختلاف مستويات المعرفة التي نتعامل معها، لكن في مستوى المعرفة العلمية

[1]-ديوي جون: الديمقراطية والتربية، تد: د، نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو مصرية، 1978، ص298.

[2]-إبراهيم ماجد: البراجماتية عرض ونقد، مجلة حولية الدعوة الإسلامية، ج2، ع19، جامعة الأزهر، القاهرة، 2004، ص350.

نستطيع أن تركز إلى نتائج بوثوقية مطلقة خلافا لمستويات المعرفة الأخرى، وذلك بمزج النظر حتى نشكل الفكر المنهجي بين العقلين النظري والعملي[1].

ويرى "ديوي" أن مهمة التفكير هي أن يحل المشكلات التي أثارته[2]، فلكل مشكلة ذات حقيقة متوقعة

في المستقبل تفسير سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى سلوك مستقبلي، وإن التفكير التأملي الحقيقي يؤدي غرضا ما مفيدا، حتى لو بدا الغرض من أول وهلة نظريا خالصا، موجها إلى فهم مجال ما من مجالات المعرفة [3].

كما وإن غاية المعرفة هي المنفعة، فكل معرفة لا تستمر نفعا، لا تدخل في باب المعرفة الحقة، فالمعرفة: هي " مطابقة الأشياء لمنفعتنا لا مطابقة الفكر للأشياء"، وذلك تصريح واضح بنسبية المعرفة، حيث هي ترتبط بالشخص العارف كأداة وبالشعور الذاتي كموضوع لها وبالمنفعة الفردية كغاية[4].

اعتبر ديوي أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج الحقائق التي تبيعها منهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية والاجتماعية، وأن كل استنتاج يجب أن يكون نابعا من التجربة والخبرة المباشرة للإنسان، ولعل مذهب ديوي الذرائعي يرى أن الأفكار لها قيمة وسائلية تتعلق بحل المشكلات التي يوجهها الإنسان والتغلب على الصعوبات التي تعرقل تطوره[5].

فالمعرفة بالنسبة "لديوي" هي ثمرة التفاعل بين العقل الإنساني والبيئة المحيطة، أو هي تشكل طبقا لخبرات، الملاحظ وطبقا للبيئة المحيطة التي يتم فيها ممارسة الخيرات، ويعتقد "ديوي" أن الأساس في الوجود قائم هو التغيير، لذلك لا توجد معرفة مطلقة، وإنما توجد معرفة طبقا لمستوى قيام العقل الإنساني بوظيفته، وهو

---

[2]-نصري هاني يحي: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002، ص 348.

[2]-فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص 119.

[3]-رايت وليم كلي: الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2005، ص 213.

[4]-إبراهيم ماجد: البراجماتية عرض ونقد، المرجع السابق، ص 352.

[5]-طه جميل حسين: الفكر التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص93.

يستعمل الخبرات الاجتماعية والطرق العلمية والنظرات الشخصية من خلال إعادة تنظيم الخبرات، ليعطيها تأثيرا أفضل، لذلك لا يهتم "ديوي" أن يكون الشيء حقيقيا بقدر ما يكون عمليا[1] .

ويتضح لنا من خلال نظرة "ديوي" للمعرفة وارتباطها بالخبرة، أهم وأبرز أفكار متعلقة بالمعرفة في نظر "ديوي" وهي أن مصدرها الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة، وهذا يعني أن المعرفة عنده هي نتيجة اجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات وقدرته عل استخلاص نتائج التفاعلات المختلفة في هذه التجربة.

وإن المستوى الواضح من الخبرة هو الخبرة كما تتجلى في الموقف المعرفي، ويحدد "ديوي" الخبرة في هذا المستوى بأن تبدأ أولا برفض التصور التقليدي للمعرفة، بأنها موقف لقاء بين الذات والموضوع، فالمعرفة ليست مجابهة ذات الموضوع، وإنها هي تتصف بأنها غير محددة، ومن ثم تكون المعرفة هي تغيير وتحويل من موقف إلى موقف يتسم بالاتساق والتجدد[2].

ونستخلص من هذا كله أن المصدر الأساسي للمعرفة هو الخبر وما تستلزمه من نشاط وتفاعل مع العناصر الشيء المراد معرفته فإنه يؤمن بأن كسب المعرفة يتطلب من قبل الباحث عن المعرفة شيئا من التفاعل الاجتماعي المباشر أو غير مباشر.

كما أن معيار المعرفة نجاح الفكرة، ويقول "ديوي": "إني أؤكد على سبيل الحزم أن لفظ البراجماتية لا يعني إلى قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الاختبارات التأملية إلى نتائجها للمعنى النهائي والاختبار على محل التجربة[3].

والعقل عند "ديوي" هو عبارة عن قوة داخل الإنسان تترعرع في سياق الخبرة، أي في سياق التفاعل المستمر بين الإنسان ومواقف الحياة التي يواجهها، أما الذكاء فهو عبارة عن قدرة الإنسان على إستعمال الحواس في

---

[1]-صمويل سون، وليم وماركو وتيتز، فريد، مقدمة في فلسفة التربية، تر: الكيلاني ماجد، دار الفرقان، عمان، 1998، ص ص 20-21.

[2]-ديوي جون: الديمقراطية والتربية، المصدر السابق، ص297.

[3]-رالف وين، قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص41.

المواقف يوجهها يصل به إلى الأفضل، وأهم ميزة يتميز بها الذكاء عند "ديوي" أنه يخضع للتجربة، حيث تجرب الأفكار في كل موقف أو مشكلة ليحصل على أفضل وأحسن نتيجة[1].

وإن نظرية المعرفة تنطلق من الخبرة الواقعية حيث رفض التساؤل عن إمكانية المعرفة والوسائل المؤدية إليها، إذ ليس هناك موضعا للحديث عن ذات عارضة وموضوع معروف، فهذا التقييم من مخالفات الفلسفة الثنائية، ودعا "ديوي" إلى ربط الوعي بالطبيعة ربطا مباشرا ينطلق من الخبرة التي هي جزء لا يتجزأ منها[2].

إن العقل يحقق هدفه حين يقود صاحبه إلى العمل الناجح، إذن الفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، ولا تقاس الفكرة إلا بنتائجها العملية، هكذا تنتفي تماما الحقائق الثابتة والأفكار المطلقة التي تبحث عنها المثالية، والحق والخير والجمال هو العمل النافع المفيد، وبذلك تنشأ القيم من الواقع الطبيعي وتكون متغيرة ومتطورة تبعا لنواتج الخبرة والتجربة التي تشهد بقدرة المبدأ الخلقي أو القيمة على حل المشكلات.

رفض "جون ديوي" الثنائية القائمة على التعارض بين العالم العقلي والعالم الحسي، فهو يعتبر العالم ليس مجردا كما يرى المثاليون بل يشتمل الطبيعة والإنسان كونهما في تفاعل مستمر، وإذا كان نظام بطليموس يرى أن الأرض ثابتة وهي المركز والشمس تدور حولها والنظام الكوبرنيكي الذي يجعل الشمس هي مركز الكواكب فإن نظام "ديوي" لا يتخذ من الشمس أو الأرض مركزا بل هما وكل الكواكب أجزاء من عالم واحد كله يتحرك باستمرار وترابط بين أجزائه وتقضي نظرية هذه إلى أن الكون والإنسان في حركة دائمة تتميز بالتطور والنمو[3].

تلك هي الحقيقة البارزة التي أقرها العلم الطبيعي حيث أبان على الوجود والكون في تغير إلا أن "ديوي" يعتقد أنه رغم شيوع فكرة التغيير في العلم إلا أن أثرها ضئيل على أذهان الناس، حين ينظرون إلى الدين والأخلاق والاقتصاد والسياسة، وعندما تسود فكرة الثبات تسود فكرة الوحدة وفي هذا يقول " أنظر إلى

---

[1]-الزيلعي عبد الله، الفلسفة البراجماتية في مجال التربية دراسة نقدية تحليلية في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1995م، ص29.

[2]-إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ج1، 1999، ص131.

[3]-ديوي جون، البحث عن اليقين، المصدر السابق، ص07.

المقدار الذي يشغله التفكير الشعبي في البحث عن معنى الحياة وعن غاية من الكون، ترى الناس يطلبون مغزى واحد، وغاية واحدة إما أن يصوغوا عنهما فكرة تتفق مع رغباتهم وتقاليدهم، وإما أن يقلعوا عن التفكير إذا لم يجدوا مثل هذه الوحدة الواحدة، وينتهي بهم الأمر إلى أنه لا وجود لأي معنى حقيقي أو قيمة حقيقية في أي مرحلة من مراحل الحياة[1]، فهو يرى أن البحث عن الثبات والوحدة مآله الفشل مما يجعل الناس يفكرون في المتغيرات التي تحدث في الكون الذي ينوع الخبرة ويكشف عن دوام النمو.

فالكون والطبيعة يتصفان بالمرونة والحركية في دلالة عن النمو المستمر، ويستدل "جون ديوي" على ذلك بما أكده العلم حيث بين أن أبسط أجزاء الكائن الحي، وهو الخلية الواحدة تتميز بالتغيير، فكذلك الأمر للكون فهو محكوم بقوانين متغيرة وبهذا يعارض الدعوات التي تدعو إلى تمثل الكون بهيئة كمالية مطلقة، بل يعتبرها اعتراف صريح بالعجز عن التحكم في شتى الأمور التي ترتبط بحياتنا الخاصة[2]

وطالما أن الكون يتصف بالتغيير لا يعرف الثبات فكذلك الواقع متغير "فديوي" و البرجماتيون عموما يرون بضرورة تهيئة الإنسان للتأقلم مع تلك التغيرات ومواجهة التحديات والحياة في هذا الكون سارت كما تكون مخزنة، والفرد الناجح هو الذي يكون قادر على التكييف مع هذه الظروف.

وإن مفهوم الكون عند "ديوي" هو العالم المنظور والمحسوس، يشتمل على المكونات الطبيعية والإنسانية والعقلية والنفسية، وإنه في حالة ديناميكية متحركة ومترابطة ومحكوم بقوانين التغيير والتقدم والحركة ولكن التغيير يقوم على المخاطرة والمفاجآت، المستقبل مفتوح وليس مغلق، لهذا فالعالم يقبل التعددية في (العقائد والأجناس واللغات.....)، الغايات والقيم ليست نهائية والقيم فيه تتوحد لما ينبغي أن يكون في ضوء حركة الخبرات وتقدمها في المجتمع.

إن العالم في نظر "ديوي" متعدد وله معالم كثيرة وهذا ما يتفق عليه "ديوي" مع وليام جيمس فالكون غاية ليست نهائية ولا محددة وإنما تأتي نتيجة التفاعل للإنسان والطبيعة، إذن فلاسفة البراجماتيين يؤمن بتواصل

---

[1]-ديوي جون، عقيدتي الفلسفية، تد: أحمد فؤاد الأهواني .

[2]-والف وين، قاموس جون ديوي في التربية ، المرجع السابق، ص 180.

الإنسان والكون والذي يتجلى حسب "جون ديوي" في مشاركة الذهن في مجرى الحياة عن طريق الذكاء بتغيير الأشياء وجعلها أكثر ملائمة بما يحقق التكييف[1].

ونلاحظ من خلال رأي "ديوي" للكون أن نظرته للكون تمثل مبدأ من مبادئ مذهبه البراجماتي الذي يساعد على بناء نظريته في التربية، وبما أن التغير هو من طبيعة الواقع، فإن الإنسان اليوم أدرك من خلال العلم أن ثمة تغير دائم يشمل كل مظاهر الحياة وكل ما يبدو لنا ساكنا هو في الحقيقة متغير وبالتالي انتقلت هذه النظرة إلى الجانب المعرفي.

تعد مشكلة الحقيقة أو الصدق من المشكلات التي اعتنى بها "جون ديوي"، لأنها تشكل أهمية في فض الخلاف المترتب على ما هو زائف (كاذب) وما هو حقيقي (صادق)، وإن الذرائعية مذهب فلسفي نفسي، يرى أن صدق قضية ما يمكن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الإنسان هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال، وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى، والعقل لم يخلق لتفسير الغيب المجهول، ولذا فإن الاعتقاد الديني لا يخضع للبيانات العقلية، ولما كان نشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين، لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة.

ثانيا : المنطق

المنطق صناعة يونانية،" وأرسطو "هو الذي وضع أصول ذلك العلم حتى لقد سماه العرب" صاحب المنطق"، وتتلخص نظريته المنطقية في كتابيه التحليلات الأولى والثانية، أي في القياس والبرهان، وظل المنطق الأرسطي سائدا في العصر الوسيط حتى ظهر "ديكارت" و"بيكون" فهاجما قياس "أرسطو" هجوما شديدا، وبين عقمه في الكشف عن حقائق جديدة.

ولما تقدمت العلوم الرياضية والطبيعية والبيولوجية في ق 19 كان من الطبيعي أن يعاود العلماء والفلاسفة النظر في المنطق في ضوء مناهج علمية الحديثة، وظهر منطقان جديدان أحدهما يعتمد على الرياضة والآخر

[1]- والف وين، قاموس جون ديوي في التربية ، المصدر السابق، ص 08.

على علم الحياة، غير أن المنطق الرياضي الجديد هو الذي نال شهرة كبيرة، وهو الذي أحدث ثورة حقيقية في المنطق القديم، أما المنطق الآخر فإنه يعد استمرار لمنطق "بيكون" و" جون استيوارت ميل" ، أي المنهج التجريبي الدافع في العلوم الطبيعية والحيوية وانتهى المنطق الرياضي في العصر الحاضر إلى براتر ندرسل، وسمي كذلك بالمنطق الرمزي، أو منطق العلاقات، وهو يعتمد علىالمصادقات، وتحليل صورة "الحكم" والعلاقة بين الموضوع والمحمول.

وبعد ذلك ظهر" ديوي" في الوقت التي كانت حركة المنطق التحليلي على أشدها، ومن الطبيعي أن ينتقد "ديوي" ذلك المنطق الجديد ويبين عيوبه، حتى يبرز منطقة الجديد، وأهم عيب في المنطق الرياضي إغفاله عنصر الزمان، واعتراضه على الأحكام التقديرية، أو الأحكام العملية بوجه عام.

ونحن نستخدم المنطق لفائدته في الحياة العملية وتلبية حاجياتنا، ولهذا وصف منطق ديوي بأنه منطق الفائدة[1].

لقد قيل عن المنطق إنه العلم الذي يبحث في قوانين الفكر الضرورية، ولكن "ديوي" لا يوافق على هذا الاتجاه، أي عزل قوانين الفكر أو العلاقات عن العالم الواقعي الذي نفكر فيه، بل مهمة المنطق الأساسية هي البحث في علاقة الفكر من حيث هو كذلك بالواقع من حيث هو كذلك[2]، ومن هنا يتضح لنا العلاقة بين الفكر والواقع بحيث لا ينفصم أحد على الآخر، وهذا يعني أنه توجد أمور متعددة قد تكون موضوعات للفكر مثلا: أحداث ، وقيما، وأشخاص، وأمكنة، وأفكار، ونجد كذلك أن التفكير لا ينحصر على البحث في الأمور العادية فقط، بل ينشغل كذلك في الأمور الطبيعية والاجتماعية وتقدم المجتمعات البشرية، وإن التفكير في هذه الأمور كلها تابع للعمل وسلوك وهو يساعد في التغلب على الصعوبات والمشاكل التي يواجهها الإنسان.

ومن أهم السمات التي تتسم بها النظرية المنطقية هي أنها تحليل لمفاهيم العلم وطرائقه تحليلا يبرز صورها، ومن ثم كان الارتباط وثيقا بين النظرية المنطقية والأساس الذي يقوم عليه العلم في عصر معين، فالتأمل

[1]-الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي (جون ديوي)، دار المعارف، مصر، ط3، 1978، ص111.

[2]- الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي (جون ديوي)،المرجع السابق، ص112.

مثلا للفكر العلمي في العصر اليوناني يجد أنه كان يتسم بالصورة الرياضية بالمعنى الذي يجعله دائما يسير من مبدأ المفروض إلى النتائج التي تتولد عن ذلك المبدأ[1].

وكل ما هو مطلوب هو أن تتسق النتائج مع المقدمات دون ضرورة أن تتفق هذه المقدمات مع الواقع الخبري، لذلك نجد أن أرسطو حينها يقر أن التفكير الصحيح والسليم يجب أن يكون قائما على منهج سليم يتسم بالصورة الرياضية الاستنباطية، تقوم على اتساق النتائج مع المقدمات.

أصل التفكير هو حقائق واقعية، فالأشياء المحسوسة هي الأشياء الحقيقية، ومن هنا كان ديوي يسلم بالأشياء الواقعية الخاضعة للميتافيزيقا، وهي مذهب الواقعية، وكان منطقه كما سماه في أول الأمر منطقا تجريبيا، غذ يدعو ديوي إلى ضرورة وجود عملية البحث يتغير من خلالها الذات الموضوع على حد سواء.

وفيما يخص أي مشكلة واحدة فلابد من وجود بداية وهذه البداية تسمى موقفا والذي يتميز بصفات ويحمل في طياته مجموعة من المميزات والعلاقات متعددة وموحدة[2].

ويجعل ديوي التحقيق ماهية المنطق لا الصدق أو المعرفة "وهو يعرف التحقيق على أنه التحويل المنضبط أو الموجه لحالة غير محددة إلى حالة تبلغ من التحدد في التميزات والعلاقات المكونة لها، حدا يجعلها تحيل عناصر الحالة الأصلية إلى كل موحد" ويضيف أن التحقيق يعني بالتحولات الموضوعية اللفظية الموضوعية[3].

والواضح من هذا التعريف الذي قدمه "ديوي" للتحقيق، أن التحقيق جزء من العملية العامة في محاولة جعل العالم أكثر عضوية، فالوحدات الكاملة الموحدة عليها أن تكون حصيلة التحقيقات التي تقوم على الواقع.

فإذا تغير الأساس الذي يقوم عليه العلم في العصر الحاضر، وجب أن يتغير معه منطق التفكير، وقد قام "ديوي" بهذه المحاولة على أساس ما برهن عليه من أنه لا انفصام ولا اختلاف بين مجال الأمور الإنسانية ومجال الأمور الطبيعة، فهو اختلاف في الدرجة وليس اختلاف في النوع بحيث يجعل لكل منها منهجا

---

[1]-نجيب زكي محمود، مقدمة الترجمة العربية للكتاب(جون ديوي المنطق نظرية البحث)، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص11.

[2]-الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص113.

[3]- رسل براتد ، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص482.

خاصا يعالج به مسائله، فكانت نظرته في البحث قائمة على الموازنة بين مسائل المنطق ومناهج البحث والبحوث العلمية التجريبية[1].

بحيث تصلح هذه النظرية لمعالجة كافة الموضوعات سواء كانت خاصة بالنواحي الإنسانية أو النواحي الطبيعية يقول "ديوي": إن مشكلة ثقافتنا المعاصرة أن نحل التكامل محل الانقسام، وطريقنا إلى ذلك لا يكون إلا بوسيلة منطقية موحدة نتخذها فيما نتناوله ونجربه، ولن نتمكن من ذلك إلا إذا اعترفنا بما يوجد في بناء البحث من وحدة سواء كان هذا البحث بحثا في مجال الأمور الإنسانية أو في مجال الأمور الطبيعية وأن نعتبر ما قد يكون بينهما ناتجا عن أن لكل منهما منطقا خاصا به[2].

ولقد بني "ديوي" فكره المنطقي الفلسفي على وجود منهجين، كل منهما يلائم مجالا معينا، المنهج العقلي استنباطي تعالج به موضوعات الدراسات مما يحتويها مجال الفكر الخالص، ومنهج استقرائي تجريبي يعالج به موضوعات الدراسة، مما يحتويها مجال الواقع وما فيه من أمور الطبيعة، وإذا كان ذلك مستساغا في العصور القديمة والعصور الوسطى حيث يتسم عالم الواقع والخبرة والعمل بخلوه من العنصر العقلي، واتسم عالم الفكر بانفصامه عن الخبرة والواقع[3].

وإن للمنطق موضوع قريب وموضوع بعيد، ولا خلاف بين المناطقة على موضوع المنطق القريب، والذي هو ميدان علاقة القضايا بعضها ببعضها الآخر، مثلا الإثبات والنفي، والدخول تحت قضايا أو عدم الدخول، فالفرد والعام وغير ذلك، ونجد أن "ديوي" لم يغير وجهة نظره التي أعلنها في بداية القرن، من أن موضوع المنطق هو عالم الواقع الذي نعيش فيه، ومحاولة ربط بين العالم الفكر وعالم الواقع، وإن منطقه يتلاءم مع نزعته الفلسفية ونزعته الإنسانية التي تتفق مع سلوك الإنسان حين يصدر أحكامه على المواقف تؤدي إلى استمرار الأماكن المنطقية.

---

[1]-سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1995، ص63.

[2]-سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المرجع السابق، ص65.

[3]-المرجع نفسه، ص67.

وإن منطق "ديوي" يدخل في حسابه عامل الزمان، ما دام يرجع إلى أحداث واقعية، أو ما يسمى بالقضايا الوجودية، ويقول "ديوي": أن هذه القضايا مثل الحديد والصلب أو الماء السائل، واستدلال الرموز بالألفاظ، لا يمكن أن تكون أحكاما صحيحة أو دالة منطقيا، لأنها تشير إلى حقائق مطلقة، فليس الماء سائلا على الإطلاق، بل في ظروف معينة، وفي مواقف خاصة وبدلا من أن نتخذ الحكم أساس التفكير، كما فعل كانط من قبل ينبغي أن نجعل المواقف أساس التفكير، وأن نصل بين المواقف وبين البيئة من جهة، وبين الشخص ومن جهة أخرى[1].

وإن نظرية "ديوي" المنطقية تقوم على الطبيعة الاجرائية للقضايا، بعد المناطقة القضية وحدة التفكير بمعنى أنك لو حللت جزءا من فقرة، فستجد أن الوحدات التي ينتهي إليها التحليل هي ما يسميها بالقضايا، والقضية في العرف المنطقي هي العبارة التي يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب، وتطبيقا لهذا المبدأ يخرج المناطقة من حسابهم العبارات التي لا تحل خبرا، حيث أن الخبر هو الذي يوصف بالصدق أو الكذب، أما القضايا التي من قبيل الأمر. والاستفهام والتعجب، فلا تعد قضايا لأنها ليست مما يمكن وصفه بالصدق أو الكذب[2].

ولكي نفهم وجهة نظر "ديوي" ينبغي أن نرجع إلى المنطق التحليلي، وذلك المنطق الذي يلغي الأحكام التقديرية، لأنها تقرر واقعا، ولا يمكن أن نصفها بالصدق أو الكذب، خذ مثلا القضايا الآتية: هذه الصورة جميلة، أو الأوقف أن يستقيظ المرء مبكرا، وأمثال هذه القضايا لا تعد عند بعض المناطقة صادقة أو كاذبة، فهي لذلك غير علمية، وقد أعفى "ديوي" نفسه من عبء القول بالصدق أو الكذب، والصدق عند هؤلاء المناطقة هو مطابقة ما في الذهن لما هو في الواقع[3]، وهذا ما يعبر عنه " ديوي " بالحق.

---

[1]-الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي، المرجع السابق، ص114.

[2]-سعيد إسماعيل علي، فلسفات التربية المعاصرة، المرجع السابق، ص68.

[3]-الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي). المرجع نفسه، ص116.

فليس المدار في شأن القضية هو أن توصف بالصدق أو الكذب، وإنما المدار هو مدى ما يكون لها من قوة إجرائية وقدرة على إعادة التغير والسير بالعمل إلى النجاح [1].

إننا لا ينبغي أن نسأل هل العبارة صادقة أم كاذبة، وإنما ينبغي أن نسأل : هل هي وسيلة لأحداث أثر عملي في الوجود الخارجي من شأنه أن يزيل الإشكال عن موقف مشكل أم لا ؟ وهنا نرجع إلى الأحكام العملية أو الأحكام التقديرية، حيث يذهب "ديوي" إلى القول بأن كل بحث موجه يشتمل بالضرورة على عامل عملي، أو على نشاط نحو العمل والصنع يغير من شكل المادة الموجودة السابقة[2]، ويعني هذا أن كل ما يمر به المرء كل يوم وكل ساعة يتصل إلى حد كبير بمبادئ تتعلق بما نفعله ونصنعه، وكل مهمة سعى إليها المرء تعرقلها عدة مشكلات، فمثلا الفلاح أو الصانع، أو المعلم، أو الكاتب، يبحث دائما على الأفضل والأمثل ليقوم بإتمام عمله على أكمل وجه.

وإننا نبالغ كثيرا في التشبيه إذا قلنا إن القضايا مثلا الخريطة الجغرافية فمتى تكون الخريطة ذات فائدة وجدوى؟ إنها تكون كذلك لو كانت صالحة لتوجيه السائر في الطريق الصحيح الذي في شأنه أن يؤدي به إلى المكان المتجه إليه والذي يهدف للوصول إليه، وهكذا الأمر في القضية، والعبارة اللغوية لابد أن تكون وسيلة وخطة للسلوك والتوجيه لبلوغ الهدف والحقيقة.

ولقد فطن "ديوي" منذ ابتداء انشغاله بالمنطق إلى أن الأحكام العملية لها صفة منطقية، على عكس ما يذهب إليه رسل مثلا من إغفاله هذا النوع من الأحكام ومثال هذه الأحكام المنطقية كقولك يحسن به أن يستشير الطبيب، هذا وقت مناسب لبناء البيت.....إلخ، هذه الأحكام العملية لها صورة منطقية في مذهب "ديوي"، لأنها أولا تعبر عن موقف لم يستقر بعد، وهذا الموقف موضوعي كما أنه شخصي فإن قلت الوقت مناسب بالنسبة لي لأشتري سيارة، فإن هذا الحكم هو حكم ذاتي وبدور حول نفسي سبب أنه حول مئات من العوامل الخارجي عني، وثانيا أن موضوعات الأحكام العملية تستلزم أن تكون كاملا في

---

[1]-سعيد إسماعيل علي، فلسفات التربية المعاصرة، المرجع السابق، ص69.

[2]- الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص118.

إتمام الموقف بحيث يتم حتى النهاية، فهناك فرق بين قضية تدل على الحدوث مثل "من المحتمل أن تمطر " وبين القضايا العملية التي ذكرناها من جهة أن الأولى تدل على نقص في ذاتها أن السماء لن تمطر، ولكنها لا تستلزم أن تكون وسببا في إتمام الموقف ، وثالثا أن موضوع العمليات يؤثر أحد المسلكين على الآخر أي مرتبطان ببعضها البعض، أما الأحكام الوصفية فلا تؤثر على موضوعها، ورابعا أن العمليات تحكم على الموقف بطريقة خاصة تجمع بين الغاية والوسيلة، فالغاية هي النتيجة الموضوعية التي نريد بلوغها، وهي التي تحدد الوسائل وتكتشف عن العقبات التي يجب أن يجتازها بالرجوع إلى الظروف القائمة وبحثها[1] .

ويمنكن القول أن الأحكام العملية لا تشغل في قيمة الأشياء في ذاتها، بل تسعى إلى البحث في طريق العمل وكيف ينبغي إتمامه، وإن المرء يحكم على قيمة الأشياء ولكن لا لذاتها، بل لأثرها في إتمام وحل الموقف، مثال عن ذلك أريد شراء هاتف، وغلى أي شكل فيكون وثمنه كم؟ .

فالمسألة ترجع إلى الأحسن بالنسبة للعمل، لا على الأحسن بالنسبة للأشياء، فقيمتها ترجع إلى تأدية هذه الوظيفة.

لقد كان المنطق التقليدي يقبل القياس مثل:

النجوم تضيء العالم ليلا.

من الممثلين نجم.

من المثلين يضيء العالم ليلا.

والصدق هنا صوري بمعنى أن النتيجة تلزم عن المقدمات، و"ديوي" يرفض مثل هذا القياس لا لمجرد أنه كاذب بمعيار الواقع، ولكن لأنه يفتقد الطبيعة الأداتية للقضايا ويرى "ديوي" أن الصورة المنطقية تبنى من

[1]-الأهواني فؤاد أحمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص119.

الخبرة والواقع، وأن كل الصور المنطقية تنشأ داخل ما يقوم به الباحث من إجراءات، وهذه الإجراءات تعين على ضبط عملية البحث بصورة يستطيع بها الباحث أن يصل إلى نتائج مرضية[1]

المبحث الثاني: الدين عند " جون ديوي "

أولا: الأخلاق

لقد عرف "ديوي" الأخلاق من الناحية العملية أنها الأساليب الشعبية وهي العادات الجماعية المقررة[2]، أي الأخلاق هي العادات التي تقررها الجماعة المعينة في المجتمع ويتفق عليها الكل.

وتأثير التقاليد في العادة والعادة في التفكير، ولا تظهر المشكلة الأخلاقية إلا إذا مر الإنسان بموقف تتعارض فيه الغايات والأهداف إما حين يمر الإنسان بموقف من المواقف يذعن فيه لغاية واحدة من الغايات فلا يسمى هذا الموقف موقفا أخلاقيا، إنه مسلك فني أكثر منه أمر أخلاقيا، إنه ذوق ومهارة وإيثار شخص وحكمة عملية أو مسألة اقتصاد ومناسبة، فهناك طرق مختلفة كثيرة تؤدي إلى نتائج كثيرة وإيثار هذا الطريق دون ذلك على أساس أن أي واحد منهما يؤدي بالفعل الغاية أمر فكري أو جمالي أو عملي أكثر من أن يكون أمر أخلاقيا فقد يحصل أن يؤثر منظرا بحريا على منظر جبلي، وهذا ضرب من الاهتمام الجمالي، وقد أرغب في استخدام وقت المشي للتفكير وأوجد الطريق الزراعي أبعد من التلهي وهذا أمر يرجع إلى الاقتصاد الفكري[3]. أو أرى من الأفضل التريض بالذهاب إلى مجرى الماء، وهذه المسألة حكمه أو لياقة أو حكمة عملية، دع أي غاية من الغايات الجمالية والفكرية أو الصحية تقوم وحدها تجدها إنها صالحة وفي موضعها ولكن المشكلة الأخلاقية لا تظهر الأخلاق عند "ديوي" هي كذلك تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية، كما إن المشي تفاعل بين الأرجل والبيئة المادية ونوع المشي في الوحل أو في الشارع المرصوف وعلى ما إذا كان هناك طريق جانبي آمن أم أن عليه أن يسير وسط المركبات الخطيرة، فإذا كان هناك مستوى الأخلاق منخفض فمرجع هذت إلى أن للتربية الناتجة عن تفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية تربية

---

[1]-سعيد إسماعيل علي، فلسفات التربية المعاصرة، المرجع السابق، ص69-70.

[2]-ديوي جون: الفردية قديما وحديثا، تر، خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، نيويورك، 1960، ص72.

[3]-المصدر نفسه، ص81.

ناقصة، ما الفائدة إذن أن ينشر ببساطة التواضع وبالقناعة في الحياة إذا كان الإعجاب المشترك يذهب إلى الرجل الذي ينجح الذي يجعل من نفسه شخصا مرموقا محمودا لسيطرته على القيادة ومظاهر القوى الأخرى[1] .

فإذا مثلا تقدمنا لطفل نتيجة العبوس أو نتيجة المؤامرة، فإن الآخرين شركاء له في الذين يساعدون على تشكيل العادات، والاتجاه الذي يقول بضمير مجرد سبق وجوده في الأفراد ترجع إليه عند الضرورة للتعنيف والعقاب، وهذا يرتبط بأسباب نقص التقدم الأخلاقي المنظم والمجدد لأنه يرتبط بنقص العناية بالقوى الاجتماعية [2] .

أما المشكلة الأخلاقية فتظهر عندما تتعارض قيمة مع قيمة أخرى، فيشعر الإنسان بهذا التعارض ويحاول أن يحدد سلوكه على أساس اختيار واحد منها، وهذا الاختيار يقوم على أساس ما يهم به الإنسان من قيم وما يؤثر به على القيم الأخرى وعلى هذا الأساس يصل إلى حكم أخلاقي يحدد واحد من هذه القيم، فهناك نوعان مختلفان من السلوك يمثلان نوعين مختلفين من النشاط تصل منهما الأفكار إلى نتائج مرغوب فيها في أحد هذين النوعين نجد أن الهدف يعبر عن نفسه مباشرة كشيء مرغوب فيه وتكون المشكلة في هذه الحالة مقتصرة على معرفة الخطوات والوسائل لتحقيق هذا الهدف، وفي مثل هذه الحالة أي حيث يكون هناك هدف مسلم بصلاحيته دون مناقشة لعلاقاته مع الأهداف الأخرى في هذا النوع من المواقف تكون المشكلة فنية لا أخلاقية مسألة ذوق ومهارة[3].

ويعتقد "ديوي" أن القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها لذلك فهو ينتقد هذه النظريات وينتقد الأديان السماوية التي تقوم بإعلاء من شان الحياة الروحية فيقول "ولقد أقام الناس بأنفسهم حلما عالميا غريبا تكرار عندما افترضوا أنه بدون مثل أعلى ثابت الخير يبعد يلهمهم فلن يكون

[1]-ديوي جون : المبادئ الأخلاقية في التربية، تر: عبد الفتاح السيد هلال، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة،(د،ت)، ص24.

[2]-المصدر نفسه، ص25.

[3]-ديوي جون: المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، دار مكتبية حياة للطباعة والنشر، بغداد، 1964، ص37.

لديهم استنارة للخلاص من المشقات الحاضرة ولن تكون لديهم رغبات للتحرر من الظلم والضغوط الواقعة عليهم وتخليص العمل الحاضر من كل ما يجعله مضطربا[1].

ولذلك يعتقد "ديوي" بأن كل الفلسفات والأديان السماوية والوضعية التي اعتقدت بوجود القيم الأخلاقية ثابتة في عالم علوي مثالي، هما أن تنقسم الغايات إلى ذاتية ووسيلة، والغايات الذاتية هي التي ترجى أقدامها وقيمتها في نفسها.

أما الغايات الوسيلية فهي الوسائل التي تتخذ لتحقيق الغايات الذاتية ونتج عن هذا أن انقسم الخبر إلى ذاتي ووسيلي، وأصبح المهم لأنه اهتم بحياة بالإنسان العادية، ونتج عن هذا أن تميزا الخبر الأخلاقي عن الخبر الطبيعي، والخبر الأخلاقي هو الفضائل كالأمان، والشجاعة، والصدق، والعفة والطهارة.....وغيرها، وإن محاولة الفصل هذه ما هي إلا نتيجة لفصل الشخصية الإنسانية عن البيئة الاجتماعية[2].

ويقول "ديوي" حيث أن الأخلاق تتعلق بالسلوك فإنها تنمو من حقائق حسية معينة وجميع النظريات الأخلاقية المعروفة تقريبا، باستثناء النظرية النفعية قد رفضت التسليم بهذه الفكرة ففي العالم المسيحي بصفة عامة، ارتبطت الأخلاق بالأفراد والثواب والعقاب والذي نجو من هذه الخرافة قد أرضوا أنفسهم بتحويل الاختلاف بين هذا العالم والعالم الآخر إلى التمييز بين الواقعي والمثالي وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ولم يستسلم العالم الواقعي إلى الشيطان ظاهريا ولكن نظرا إلى هذا العالم الواقعي على أنه مظلم للقوى المادية العاجزة عن توليد الفضائل الأخلاقية ونتيجة لذلك يجب أن تقدم الاعتبارات الأخلاقية من الأعلى[3].

ويتضح لنا من خلال قول "ديوي" أن هناك اختلاف قائم بين العالم الواقعي والعالم المثالي، حيث أن العالم الواقعي يمثل العالم المادي الذي يقوم على السلطة والسيطرة، وتغيب فيه الفضائل و القيم الأخلاقية، وأما

[1]-ديوي جون: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجحي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1963، ص97.

[2]-كفاد يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي "نظرتهما لطبيعة الإنسانية، صدرت لجنة البحث والدراسة في التراث، ،بيروت، ع2، 2013، ص 139.

[3]-كفاد يحي صالد عسكري، الغزالي وجون ديوي، المرجع السابق، ص140.

بالنسبة للعالم المثالي فهو عالم الاعتبارات الأخلاقية والقيم والفضائل التي ترتبط بالأفراد وتساعدهم على نيل الثواب وتعاقبهم على الأخلاق التي لا تتمتع بالفضيلة وتحث على الرذيلة.

وبعد أن ينتقد ديوي الأخلاق في الفلسفات يقدم نظرية عن الأخلاق فيقول: "ولكن الأخلاق في الحقيقة هي أكثر المواد جمعا للإنسانية وهي أربها جميعا إلى الطبيعة البشرية وتتصف بالحسية التي لا يمكن محوها وهي ليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا رياضية وحيث أنها تتعلق مباشرة بالطبيعة الإنسانية، فكل ما يمكن معرفته عن العقل الإنساني والجسم الإنساني في علم وظائف الأعضاء وعلم الطب والأنثروبولوجي، وعلم النفس، مما يناسب البحث الأخلاقي فالطبيعة الإنسانية تعيش وتعمل في بيئته[1] .

وهي لا تكون في هذه البيئة كما تكون النقود في الصندوق ولكن كما يكون النبات وضوء الشمس.....، وعلى هذا فالطبيعة والكيمياء والتاريخ والإحصاء والهندسة هي علوم وبذلك يمكننا القول بأن العلم جزء من المعرفة الأخلاقية، مادامت تساعدنا على فهم الظروف والمؤسسات التي يعيش الإنسان في ظلها وعلى أساسها يشكل مخططاته وينفذها، فالعلم الأخلاقي ليس شيئا ميدان منفصل ولكنه معرفة مادية بيولوجية وتاريخية وضعت في محتوى إنساني حيث نحمي مناشط الإنسان ونرشدها[2].

ويؤمن "ديوي" بأن المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية هي الخبرة والتجربة، فالفرد يكتسب قيمته الأخلاقية وضميره الأخلاقي عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به، مثلها في ذلك مثل بقية معارفه ومهاراته وعادته وتقاليده التي يكتسبها هي الأخرى عن طريق الخبرة لذلك يقول " فعندما يقوم الطفل بسلوك معين فإن من حوله يستجيب إذ يمدونه بالتشجيع ويزود له بالموافقة أو أنهم يمنحونه عبوسا وتعنيفا وما يقوم به الآخر نحونا عندما تقوم بأيدينا فيها، فالبيئة الاجتماعية قد تكون مصنعة كما يحلو لك ولكن استجابتها لأعمالنا عمل طبيعي لا مصطنع[3].

---

[1]-ديوي جون: الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص33.

[2]- المصدر نفسه، ص 331.

[3]-كفاد يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي، المصدر السابق، ص140.

إذن القيم الأخلاقية هي أخلاق اجتماعية تنبع من الذات والضمير ولكنها تكتسب نتيجة التجربة والتفاعل بين الأفراد وأعمالهم، ونقول بأنها أخلاقية إذا ما ساعدت على النمو الكامل للفرد، وساعدت كذلك على النهوض بالمجتمع وعملت على تحقيق المصالح العامة للفرد وللمجتمع.

وفي اعتقاد "ديوي " أن الأخلاق ظاهرة اجتماعية فهو يقول " إن الحكم الأخلاقي والمسؤولية الأخلاقية هما العمل الذي تخلفه البيئة داخل أنفسنا هاتان الحقيقتان معناهما أن كل الأخلاق اجتماعية، وليس لأننا يجب أن ندخل في اعتبارنا نتائج أفعالنا على المصالح الآخرين لكن هذه هي الحقيقة[1].

وكذلك ينشأ الضمير ويتكون ويأخذ مقوماته في هذا التفاعل مع بيئته إذ يقول " ونحن في لغتنا وخيالنا نتدرب على استجابات الآخرين، كما تمثل مسرحيا النتائج الأخرى، ونحن نعرف مقدما كيفية سلوك الآخرين والمعرفة مقدما هي بداية الحكم على العمل، فنحن نعرف عن طريق الأفاعيل فهناك الضمير وتتكون في صدورنا جمعية تناقش وتقدر الأفعال المقترحة والمنجزة والمجتمع الخارجي يصبح ذروة ومحكمة داخلية، مركزة للحكم على الاهتمامات وتقديرها أو العفو عنها، وتشبع تفكيرنا في أفعالنا بالأفكار التي يناقشها الآخرون عنها، أفكار لا تتضح في أوامر الظاهرة فحسب ولكن في الاستجابة لأفعالنا وهذه الأخيرة أكثر فعالية[2] .

ويتضح لنا من قول "ديوي" أن الضمير ينشأ عن طريق التفاعل مع بيئته، ويمكن للفرد أن يدرك ويعرف سلوك الآخرين ويمكنه الحكم على عملهم لأنه يعرفهم وقد تعامل معهم وتفاعل كذلك معهم عن طريق بيئتهم الاجتماعية، والأفعال ليست أوامر ظاهرية فحسب بل هي استجابة لأفعالنا المأخوذة من المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الفرد وهي أكثر فعالية تساعدنا على الحكم وتقدير أفعال الآخرين ومناقشتها لنصل إلى التفاهم بين الأفراد.

ومن أهم المبادئ الأخلاقية في الميدان التربوي فيلخصها "ديوي" كما يأتي:

---

[1]-ديوي جون : الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص296.

[2]-المصدر نفسه، ص 309.

1-الأخلاق المدرسية وجه واحد فقط من وجوه المعرفة الأخلاقية العامة ويجب علينا معالجتها تحت عنوانين اثنين: (أ) الجانب الاجتماعي، (ب) الجانب الفردي أو النفساني، فهما جانبان من جوانب السلوك وإن كان يندمجان في أي موقف محسوس إيضاح لهذين الوجهين من الحياة العملية.

2-من الممكن تطبيق هذا الوضع على الأخلاق في المدرسة.

3-يجب أن تكون الجماعة المدرسية حياة حقيقية.

4-أن مطالب هذه الجماعة تحتاج كذلك إلى أن تشرب الواقع، وأن تشرب الهدف الاجتماعي.

5-وفيما عدا هذا المبدأ الاجتماعي الأساسي لن نجد معيار للقيم التربوية.

6-الأخلاق كمسألة فردية، (أ) أن دراسة الطفل تكشف لنا عن مصدر السلوك في الغرائز والدوافع، (ب) وأن حياة الفرد يجب أن تفحص لنرى ما يصل إليه السلوك الإنساني في كل من عهدي الطفولة والرجولة.

7-ثلاثة ملامح بارزة للخلق الإنساني وهي: (أ) القوة، (ب) الإدراك السليم، (ت) سرعة التأثر واللياقة ، أي أن الصفات النزوعية الفكرية والعاطفية تساهم جميعا في تكميل الخلق.

8-دعنا إذن نحكم على العمل المدروس على أساس هذا المعيار الأخلاقي، (أ) مجرد الكف عن العمل لا قيمة له، (ب) أن الإدراك السليم والحكم السديد يمكن التدريب عليهما فقط أثناء البحث الفعال، (ت) أما العاطفة فمن الممكن أن نجد تدريبها فقط في المواقف الاجتماعية المناسبة وفي المادة الجمالية.

9-خاتمة: حاجتنا إلى إيمان صادق تحققه المبادئ الأخلاقية التي ندرسها.

يعرف "ديوي" الخبر بأنه يتضمن معنى ممارسة وينتمي إلى نشاط سينتهي فيه الصراع والتعويق، للدافع والعادات المتعارضة المختلفة بتحرر موحد منظم لهذه الدوافع والعادات يظهر في العمل، وهذا الخبر الإنساني هو انجاز يتوقف على التفكير [1] . ويعني ذلك محاولة الإنسان أن يصل إلى حل للمواقف التي تواجهه حتى

[1]-ديوي جون: الخبرة والتربية تر: محمد رفعت رمضان، نجيب إسكندر، المصدر السابق، ص75.

يستطيع أن يستمر في معيشته في هذه الحياة، وهي لكي يصل إلى حل لهذه المواقف ولهذه المشكلات، فلا بد من أن يكون لديه نوع من التفضيل في هذه

المواقف، أي أن يهتدي في تفكيره بما هو أفضل أي بما هو خير، لقد حاول الإنسان في مختلف عصور الحضارة وعبر تاريخه الطويل إلى أن يصل إلى معرفة هذا الخبر، وأن يحدده ليصل إلى معرفة الشر فيبتعد عنه فيقول "ديوي" بهذا "الصدد" إن تأثير التغير الذي حدث في مناهج التفكير العلمي على الأفكار الأخلاقية واضح في جملته، فقد زادت ضروب الخير، وتعددت الغايات والأهداف وتغيرت القواعد الجزئية فصارت مبادئ عامة، وتعددت المبادئ فأصبحت طرق للفهم، ذلك أن النظريات نشأت بين الإغريق على أنها محاولة منهم لإيجاد نظام مسيير عليه الإنسان في الحياة يقوم على أساس من العقل، وتكون له غاية معقولة بدلا من ذلك النظام الذي يقوم على أساس العادة والعرف[1].

وقد حاول أفلاطون أن يوحد بين المعرفة والفضيلة فيقول "ديوي" :"نجد التعاليم السقراطية الأفلاطونية توحد بين المعرفة والفضيلة، فتزعم أن الإنسان لا يعمل الشر عن المعرفة، بل لجهله الخبر لا غير، وكثيرا ما تهاجم هذه النظرية، إذا ما أكثر وجود الرجل الذي يعرف الخير ولكنه يعمل للشر فحينئذ لا يكون المطلوب هو المعرفة، بل وجود الدافع إلى الخير وتقوده وممارسته العملية"[2].

ويمكننا القول هنا أن المملكة الأفلاطونية تقوم على التوحيد بين المعرفة والفضيلة، وكذلك التفرقة بين الخير والشر، ومنذ ذلك وقعت النظريات الأخلاقية تحت تأثير فكرة أن وظيفتها لا تتعدى العمل على الكشف عن غاية نهائية أو خير نهائي أو قانون سام نهائي كذلك وافتتنت بذلك أيما افتتان، وهذا هو العنصر المشترك في النظريات على اختلاف أنواعها فبعضها يقول أن الغاية هو الولاء أو الطاعة أو سلطة عليا، وقد وجدت هذا المبدأ السامي في المشيئة الإلهية، أو في إدارة الحاكم العلماني، أو في وصاية المؤسسات التي يتجسد منها عرض أولي الأمر في الشعور بالواجب شعورا قائما على العقل[3].

---

[1]-المصدر نفسه، ص75.

[2]-. ديوي جون: الخبرة والتربية، المصدر السابق، ص 79.

[3]-المصدر نفسه، ص ص 80-81.

وعندما فضلت النظريات الإغريقية القديمة بين عالمين، عالم مثالي سماوي علوي وعالم واقعي، قالت بان القيم التي تمت إلى العالم العلوي السماوي هي القيم التي يجب أن تسود، وهي هدف النظريات الأخلاقية ذلك لأنها ثابتة لا تتغير، أما ما يجري في هذا العالم فإنه يخضع للتغيير ويخضع أيضا لعدم التحقيق، ومن هنا تمزق الإنسان بين عالمين لم يستطيع أن يوفق بينهما، فهذه القيم وتلك القيم لا تتحقق في هذا العالم ولا يستطيع أن يعرف تماما كيف تحققت، وهو عاجز عن التوفيق بينهما وبين أنفسهم في الرذيلة ويعيش البعض الآخر عيشة الزهد والشك بعيدين عن هذا العالم الواقعي[1]، الذي يسعى الإنسان فيه إلى تحقيق القيم العلوية، ونجد كذلك أن هناك عالم ثابت قد أصابه اليأس والملل ووجد صعوبة في تحقيق القيم العليا، فانغمس في ملذاته وشهوته ولقد نادى هذا العالم الواقعي بحرية لدى الإنسان التي تقوم وتسعى إلى تحقيق شهواته وملذاته.

ولا يكتفي "ديوي" باستعراض آراء الفلاسفة الإغريق بل راح يستعرض أراء النفعيون والخير والشر فيقول " ولقد جعل النفعيون أيضا في الخير والشر، والصواب والخطأ مسائل خاصة بالخبرة الواعية أنزلوها فضلا عن ذلك إلى الأرض، إلى الخبرة اليومية، ولقد جاهدوا في أن تكون أنواع الخير التي لا تتصل بهذا العالم إنسانية، ولكنهم احتفظوا بالاتجاه القائل بأن الخير هو المستقبل وبذلك يكون خارجا عن معنى النشاط الحاضر[2].

ويلخص "ديوي" مفهوم الخير في الفلسفات فيقول: " وهكذا الخير مشتقا استثنائيا معارضا للمصادقة، سلبيا استمتاعا، شيئا عثرنا عليه، لا تحقيق وصلنا إليه والغاية المقبلة بالنسبة لهم ليست بعيدة جدا من العمل الحضر كما هو الشأن مع ميدان المثل العليا الأفلاطونية أو كما هو الشأن مع التفكير العقلي عند أرسطو أو كجنة المسيحية أو مفهوم سبينوزا عن الكل العام[3].

ويتوصل "ديوي" إلى أن ليس المطلوب هو معرفة الخير من الشر، بل وجود الدافع إلى الخير وتعوده وممارسته العملية، فمعرفة الخير، كانت تقتبس من الكتب أو من الآخرين وإنما هي شيء نتوصل إليه بالتربية في آماد

---

[1]- المصدر نفسه، ص229.

[2]-ديوي جون: تجديد الفلسفة، المصدر السابق، ص267.

[2]-ديوي جون: الديمقراطية والتربية، تر: منى عقراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1954، ص366.

متطاولة من الزمان، وهي النعمة النهائية التي أنعمتها علينا الخبرة الناضجة، في الحياة أن حكمة المعرفة تستعمل للدلالة على أشياء كثيرة يفترق بعضها عن بعض، فقد تعني شيئا حيويا وثيق الصلة بالمرء يتحقق بنفسه، أي عقيدة يكتسبها ويمنعها بالخبرة [1] ، أي أنها معلومات بعيدة خالية من الحياة، أو تعنى إدراكا أكثر رمزي ننقله عن غيرنا من أن الناس يؤمنون على وجه عام بكذا وكذا، وإن هذا الضرب من المعرفة يوجه السلوك ويؤثر في الأخلاق تأثير ناجحا.

ويشترط " ديوي " على أن يشتمل الخير الشعور بالرضا والارتياح فيقول "كما جلس الإنسان على كرسي لا على الموقد، وحمل المظلة أثناء المطر، واستدعاء الطبيب أثناء المرض، أو بعبارة أخرى كلما قام بآلات الأعمال التي تشمل عليه حياته اليومية، كان له من ذلك برهان بأن هناك ضربا في المعرفة ينفذ إلى السلوك نفاذا مباشرا، أن كل شيء يحملنا على الاعتقاد بأن المعرفة خير هذا الوجه نفسه لها مثل هذا الأثر في السلوك وأحق إن كلمة الخير إن لم تنطوي على ضروب الرضا والارتياح التي يحسدها الإنسان في مثل هذه الأوضاع التي ذكرناها ما عدت كلمة فارغة[2] .

ويحدد " ديوي" مدرستين تدرس الخير والشر فيقول " باختصار هناك مدرستان للإصلاح الاجتماعي، تعتمد أحدهما على أخلاق تنبع من حرية داخلية، من شيء سري محبوس داخا الشخصية، وتؤكد هذه المدرسة أن الوسيلة الوحيدة لتغيير المؤسسات هي أن يعمل الناس من جانبهم على تطهير قلوبهم وعندما يتم ذلك التغيير في المؤسسات من تلقاء نفسه، أما المدرسة الأخرى فتنكر وجود مثل هذه القوة الداخلية، وبهذا ندرك أنها تنكر كل حرية إنسانية وهي تقول بأن الناس قد صاروا على ما هم عليه من تكوين نتيجة القوى البيئية، وإن الطبيعة الإنسانية مرنة سهلة التشكيل وإنه حتى تتغير المؤسسات لا يمكن عمل شيء، ومن الواضح أن هذه الآراء تترك نتيجة دون أمل، كما يفعل أي تطلع ينتج عن الرجوع إلى صواب وخير

[1]-المصدر نفسه، ص ص 267-268.

[2]-النحيحي محمد لبيب: مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط3، بيروت، 1981، ص ص 356-357.

داخلين لأنها لا تقدم لنا أية مساعدة لتغيير البيئة، وترجع بنا إلى الاعتماد على المصادفة متنكرة في شكل قانون ضروري للتاريخ أو التطور[1].

ويعد هذا الاستعراض يثبت " ديوي" رأيه وهو وسيط بين المدرستين إذ يقول " وهناك طريق آخر يختلف عن التوسط بين هاتين النظريتين إذ يمكننا أن نعترف بأن سلوك جمعية تفاعل بين عناصر من الطبيعة الإنسانية وبين البيئة الطبيعية أو الاجتماعية، ونستطيع أن نرى بعد ذلك أن التطور يتقدم في طريقتين، وإن الحرية توجد في ذلك النوع من التفاعل الذي حافظ على بيئة الإنسان كما أن هناك كذلك قوى خارجية[2]

وبينما تكون القوى الداخلية ضعيفة، بمقارنتها بالقوى الخارجية، فإنها قد تجد مساعدة لها من الذكاء الذي يتنبأ ويخترع ويسعى إلى حل المشكلة وتحقيقها، فمسألة إذن تنتقل من داخل الشخصية لتصبح مسألة تخدم الواقع الاجتماعي وتوجهه.

ويمكننا القول أن السلوك الانساني الذي توصل إلى "ديوي" هو حصيلة التفاعل بين الطبيعة الإنسانية والظروف البيئية المختلفة، والتي تنتج عن طريق العلاقة بين المؤسسات والأفراد وترتبط بين الإصلاح الداخلي وإصلاح المؤسسات وهنا نجمع بين النظرتين، وإن التغير الذي يحدث في داخل الفرد يلعب دورا هاما لتعديل الظروف البيئية عن طريق العمل، ونذكر كذلك الدور المهم للمؤسسات الاجتماعية إذ تقوم هذه الأخيرة بإصلاح الأفراد، وذلك عن طريق تكوينهم، ويصبح بذلك الاهتمام بإصلاح الأخلاقي في الفرد أو الاهتمام بإصلاح المؤسسات الاجتماعية واحد.

ولقد أدى الاعتقاد بوجود قيم أخلاقية ثابتة في عالم علوي مثالي، إلى أن تنقسم الغايات إلى ذاتية ووسيلية وبهذا الصدد يقول " ديوي " وثم نتيجتان أخلاقيتان يجب ملاحظتهما لما لهما من شأن عظيم، فقد أدى الاعتقاد بوجود قيم ثابتة إلى حدوث انقساما في الغايات : غاية ذاتية ووسيلية إلى غايات قيمتها نفسها حقا، وأخرى أهميتها في أنها وسائل لدرك ضروب من الخير الذاتية وكثيرا ما رأى الناس أن عمل هذا التقسيم يعد بداية الحكمة، بداية التميز الأخلاقي، وهو تقسيم يبدو في الحق هاما من الوجهة الجدلية ولا ضرر من

[1]-ديوي جون: الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص303.

[2]-المصدر نفسه، ص ص 304-305.

ورائه في الظاهر، ولكن إذا ما نفذناه وعملنا به كان له نتائج بالغة الخطورة، فقد كان من الوجهة التاريخية مصدرا ومبررا لوضع حدث ثابت محدد كل التحديد بين ضروب الخير من جهة وبين ضروب المادية من جهة أخرى[1] .

ولقد نتج عن هذا انقسام الخير إلى ذاتي ووسيلي، وانفصل الخير الذاتي بذلك عن مواقف الاهتمام في حياة الإنسان الاجتماعية والعادية، وأصبح ما يهم الإنسان في هذه الحياة هو الخير الوسيلي الذي يقوم على الوسيلية والغاية التي تؤدي إلى المصلحة والمنفعة والتي ينتج عنها التفرقة في المجتمع، وقد استخدم " أرسطو " هذه التفرقة بين الخير الذاتي والوسيلي ويورد مثال عن ذلك فيقول " فيقول للناس في صراحة أن الارقاء والعمال على الرغم من ضرورتها للدولة ليسوا من مقوماتها بحال من الأحوال، فكل ما يعد وسيلة أو أداة ليس إلا يجب أن يعد عمل من الأعمال الكادحة، أو قريبا منها إذ لا يمكن أن يستدعي انتباه الناس واحترامهم له من أية ناحية من النواحي العقلية أو الفنية أو الأخلاقية[2].

ونتج عن هذا الانقسام أن أصبحت الأخلاق الوسيلة غير جديرة بالعناية، وثم أخذ الأحرار وهم أولئك الذين يعنون بالمثالية، أخذوا يهربون من الخير الوسيلي وتركوا أمر القيام بشؤونه إلى طبقة وضيعة من البشر، حتى يتمكن الأحرار من أن يكونوا أحرارا يعنون بالغايات الذاتية وضروب الخير التي لها قيمة ذاتية[3].

ومعنى هذا أن أصحاب الطبقات العليا، لم يهتموا بالخير الوسيلي وفرو منه، وتركوا العمل على أصحاب الطبقة الكادحة والوضيعة ليقوم به، وذلك ليكون أحرارا يسعون إلى الغايات الذاتية.

والحل الأمثل برأي "ديوي" هو الاستغناء دفعة واحدة عن التميز الأخلاقي التقليدي بين ضروب الخير الأخلاقي كالفضائل، وبين ضروب الخير الطبيعي كالصحة والاطمئنان الاقتصادي والفن والعلم، وغيرها،

---

[1]- ديوي جون: الديمقراطية والتربية، الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص ص 32-33.

[2]-ديوي جون: تحديد في الفلسفة، المصدر السابق، ص 317.

[3]-ديوي جون: الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 33.

إذا طبق المنطق التجريبي على الأمور الأخلاقية جعل خيرية كل صفة يقال عنها خير، وتقدر بحسب ما تؤدي إليه من تحسن في أحوال الأمور والشرور التي يعاينها الناس في الوقت الحاضر[1] .

ويقول "ديوي" كذلك " كل القيم والأحكام الأخلاقية تجريبية من ثم خاضعة للمراجعة"[2]. أي أن القيم الأخلاقية بما فيها الخير والشر تخضع للتجربة، وبعد ذلك يتم مراجعتها والتأكد من صدقها وحقيقتها.

وبذلك نستطيع القول بأن " ديوي " لم يقل بالخير والشر في الطبيعة الإنسانية، وإنما قال بالطبيعة المحايدة بمعنى إنها قادرة على أن تصبح أيا منهما، ويتوقف ذلك على خبرة الفرد فضلا عن الإمكانات الموروثة والبيئة الاجتماعية.

إذن فالخير والشر في الطبيعة الإنسانية عند " ديوي " أمران نسبيان يختلفان بإختلاف البيئات والثقافات، ويتوقف على كيفية التفاعل مع البيئة وعلى حسن المعايشة والمعاناة وعلى مدى التبصر بالأمور ومزاولة طريقة التفكير، أما الطبيعة الإنسانية فهي في حد ذاتها ليست خيرة ولا شريرة[3].

ثانيا: الدين والتدين

1-نقد "ديوي" للدين:

لقد كان خوض "جون ديوي" في مجال الدين محدود جدا إذا تأثر بفلسفة (سانتيانا)[4]الدينية، وكان السبب الرئيسي في تناول " ديوي " للدين هو الصراع القائم بين الدين والعلم، وحاول أن يجعل التفكير الديني تفكيرا علميا، يساير العلوم الأخرى التي تعمل على تطور الحياة الإنسانية.

ولقد رفض " ديوي " كل شكل من أشكال الأديان المطلقة والمتعالية فوق طبيعة الإنسان والتي نتخذ صورا متعددة في نظره، فمنها من تحاول أن توجد علاقة بين الواقع والمثال المتعالي، وأخرى تتمسك بجوهر

---

[1]-والف وين: قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص28.

[2]-ديوي جون: تجديد في الفلسفة، المصدر السابق، ص280.

[3]-المصدر السابق، ص ص 281-282.

[3]-جورج سانتيانا: فيلسوف وكاتب أمريكي بين عامي(1863-1952)ويعد من أنصار الواقعية التقنية كا يعترف بالوجود الموضوعي للعالم المادي، ويعتقد أن الأوامر وحدها هي التي يتم إدراكها، والتي تظهر في الإدراك كعلامان للموضوعات، أهم مؤلفاته (حياة العقل)، روزنتال، الموسوعة الفلسفية، تر: يوسف كرم، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص 230.

ميتافيزيقي معتبرا دعامة هذا العالم، كما ظهر على شكل نظرية ثابتة منافسة لكل العلم، وهذا ما أوضحه " ديوي " بقوله: " لقد وقع الإيمان والمثل الأعلى في الموجود الأقصى، وكانت عنايتها في البحث عن حياة من الولاء لما تقدر أنه الخير مرتبطة بعقيدة خاصة لها صلة بأصول تاريخية، واشتبك الدين كذلك بميتافيزيقا الجوهر وألقى بنفسه مع مصيرها مسلما بكونيات معينة، ورأى الدين نفسه أنه يحارب معركة خاسرة مع العالم، كما لو كان الدين نظرية منافسة تدور حول بناء العالم الطبيعي"[1] .

بالإضافة إلى ما تقدم به " ديوي " يعارض الأديان السماوية المنزلة ويرفضها رفضا قاطعا، معتبرها بقايا العصر العلمي وما قبل التكنولوجي، التي ليس لها مكان في المجتمع الحديث، فهي متحجرات اجتماعية إذ جاز التعبير، مصنوعة من دوغمائيات بالية وتعليم أخلاقي غير علمي، وممارسات إعتقادية، ولكن " ديوي" لم ينفق الكثير من الوقت حول الأديان المنظمة لأنه يعتقد بأنها مرفوضة منذ زمن طويل وسوف تختفي عما قريب من المشهد الاجتماعي.

وكذلك لم ينفق الكثير من الوقت حولها، لأنها تصطدم مع فلسفة الطبيعة، التي لا تعير أي اهتمام إلا بما كان محسوسا، وخاضع للتجربة العلمية، ومع ذلك فهو لغو لا طائل منه،ورفضه للدين أيضا، كونه يبحث في مسائل ميتافيزيقية، وإن التفكير الميتافيزيقي لا يبدي في الواقع الأمر أدنى اهتمام بما يتصل بسيطرة الإنسان سيطرة عاقلة على الطبيعة، وهو كذلك يعوق البحث الفلسفي ويصبغه بصيغة قطيعة جامدة ويعلق عقول الناس دون ما في العلم الطبيعي من إمكانات كامنة[2].

هذا فقد لاقت فكرة الله نقدا عند "ديوي "، إذ رفض تصور الله بعيدا عن التجربة الإنسانية والواقع الإنساني، فكان يرى "ديوي " بان فكرة الله أو الإلهي لا بد من أن ترتبط بكل القوى والظروف الطبيعية، يرى من ضمن ذلك الإنسان والإدراك الترابطي اللذان يعززان نمو المثالية وتوسيع مدى فهمها، وهكذا يلاحظ بأن " ديوي " لم يفرض فكرة الله رفضا قاطعا، بل أرادوا أن يجعلها ضمن إطار مذهبه ليس ثمة شك في موقف "ديوي " هذا من الدين، فهو قد انعطف انعطافا شديدا عن سابقه، إنه لا يستطيع قبول

[1]-ديوي جون: البحث عن اليقين، ص 331.

[2]-كامل فؤاد وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، 1987، ص205.

الفكرة الدينية في نظامه، لأن الإيمان بالله أو المعرفة بنعم الله لا يمكن أن تكون جزءا من التجربة كما يعتقد " ديوي " .

وبهذا قد اختلف " ديوي " عن " جيمس " في المسألة الدينية، فتجربة " ديوي " في أمور الدين أقل تطرفا، فهو يعتقد مثله مثل " جيمس "، أن ثمة كيفية دينية في التجربة المستقلة استقلالا نسبيا عن المعتقدات المصطلح عليها وعن طقوس الأديان المنظمة ولكنه يريد أن يحفظ القيم الدينية حرة من جميع أنواع العلم الكوني ومذهب فوق الطبيعة، فهو إنساني[1] .

إن هناك سببين رئيسيين دفعا "ديوي" إلى رفض الدين والهجوم عليه، هذان السببان هما الأساسيين في رفض " ديوي " للميتافيزيقا رفضا باتا، أولهما إن التفكير الميتافيزيقي لا يقدم ولا يؤخر على الإطلاق فيما يتعلق بالتقدم الذي حققه الإنسان في السيطرة الذاتية على الطبيعة، وثانيهما أن التفكير الميتافيزيقي سيء لأنه يقف عقبة أمام البحث والاستقصاء، وسبب في جهود الفلسفة، فضلا على أنه يغلق عقول البشر أمام الامكانات الكامنة في العلوم الطبيعية[2].

2- القيم وتعارضها مع الدين

يفرق " ديوي " في كتابه الإيمان الشائع (acommsn faith)، بين القيم الدينية والدين، إن الدين هو كل ما يختص بأمور سماوية غيبية، والذي يخص الأديان السماوية أما القيم الدينية أو ما هو ديني، فهو يدخل إلى تجربتنا حينما ندرك اتجاها أساسيا في حياتنا، فنبدأ بتنسيق مختلف الأهداف التي ننشدها في ذات المنظمة وفي موقف يستمر صامدا بالرغم من التغيرات التي تطرأ على محيطنا، إن الموقف الديني هو متابعة المثل العليا الموجودة وهذا المثل التي تؤخذ من صميم التجربة المعاشة، وليست مثل خارجة عن نطاق الخبرة، لذلك حدث تعارض بين القيم الدينية والأديان، وهذا التعارض في نظر " ديوي " ، لا يمكن تخطيه فيجب

[1]-شنيدر، هربرت، تاريخ الفلسفة الأمريكية، تر:محمد فتحي الشنطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص394.

[2]- عوض رمسيس، ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر، القاهرة 1998، ط1، ص73.

القضاء على ذلك التماثل بين هذه القيم وبين عقائد الأديان وطقوسها، لسبب واحد فقط وهو أن تحرر هذه القيم أمر بالغ الأهمية[1].

كما أن هناك فرقا آخر بين القيم الدينية أو كما عبر عنها " ديوي " بالاتجاه الديني وبين الدين، فيقول " ديوي " : " إن الاتجاه الديني باعتبار أنه توجيه الامكانيات الوجود، وإخلاص لقضية تلك الإمكانات، ومتميز عن سليم بما يعطي في الوقت الحاضر، يخلص نفسه تدريجيا من هذه الالتزامات الفكرية الضرورية، ولكن أيضا الدين قلما يقفون لملاحظة ما يقدم من أساس المنازعات الجارية مع كشوف العلم ليست هذه العقيدة الخاصة أو تلك، وإنما هو الانطواء تحت لواء نظم فلسفية تذهب إلى أن الحقيقة كل شيء ممتاز وقوفه مما يكون جديرا بأسمى إخلاص يعتمد على ميل وجوده السابق "[2].

فالدين يلتزم بإعطاء أدلة مسبقة تكون هي الأساس التي تعتمد عليه حقيقة الأشياء، أما الاتجاه الديني فلا يعتمد على أدلة مسبقة تعكس حقيقة الأشياء.

أراد " ديوي " أن يكون الدين مرابطا للطبيعة وليس متعاليا عليها، وهذا يتم من خلال رسم مثل أعلى لنا تحاول أن نسير وفقه بإرادتنا لا أن يفرض علينا فرضا، وهذا هو الإيمان الذي عبر عنه " ديوي " بقوله: " ويجب أن أصف هذا الإيمان بأن توحيد النفس عبر الإخلاص لأهداف مثالية متضمنة، تتقدم به إلينا المخيلة وتستجيب له الإرادة الإنسانية وكأنها جديرة بالسيطرة على رغباتنا واختيارنا "[3]، وقد ربط ذلك بفكرة الله إذ اعتبر الله هو العلاقة بين الإنسان ومثله العليا، يحاول تغيير أو ضاع الحياة على مقتضاها، هذا وقد أعطى " ديوي " لهذه العلاقة أهمية كبيرة، لأن فكرة الله في نظره بوسعها توحيد المصالح والطاقات المتناحرة الآن وبوسعها كذلك توجيه الفعل وتوليد نار العاطفة وضوء الذكاء، وإنها مسألة قرار فردي، هل المرء يريد إعطاء اسم الله لهذه الوحدة العملية فكرا وعملا ؟ .

---

[1]-راندل، جون هرمان، مدخل إلى الفلسفة، تر: ملحم قربان، دار العلم للملايين، بيروت، 1963، ص318.

[2]-ديوي جون، البحث عن اليقين، ص ص 331-332.

[3]- المرجع نفسه، جون هرمان، مدخل إلى الفلسفة، ص 320، نقلا عن كتاب ديوي (إيمان مشترك) ص 33.

ويتمخض عن ذلك أن " ديوي " قد فرق بين فكرتين أساسيتين، وهما الرأي والمعرفة، أن الفرق بين الاعتقادات المحمولة من قبل والاعتقادات المحمولة بعد توسط السلوك التجريبي، فإن الرأي هو ما يعتقده الناس حول شيء قبل وقوعه، والمعرفة هي اعتقاد بهذا الشيء فيما بعد[1].

ويلاحظ مما تقدم، وجود نزعة تفاؤلية في مفهوم " ديوي " للدين، هذه النزعة تقتضي السعي والتواصل في تحقيق إمكانيات الطبيعة المتاحة إلينا، وأن يكون الموقف تجاهلها موقفا إيجابيا بناءا، يسعى إلى التطور والرقي في هذه الحياة، والإيمان يجب أن يخلص لمثلا أعلى وقد قال " ديوي " هنا " إن الإيمان الديني الذي يتعلق بإمكانيات الطبيعة وما يرتبط بها من عيش، يتجلى عنه، بإخلاص للمثل الأعلى- التقوى نحو الواقع، الذي لن يتنازع الإيمان الديني وإياه فيما يختص بنقائصه ومصاعبه، على العكس سيحضى كل ما كان وسيلة لتحقيق الإمكانيات بإحترام والتقدير، كما سيظهر بذلك كل ما يتجسد فيه المثل الأعلى، إذا لقي تجسدا "[2].

وهكذا يتضح لنا بأن " ديوي " لم يفرض الدين بصورة نهائية، بل أراد تخليصه من النظرة الجامدة للعالم، وأراد أن تكون " إحلال الإيمان بنزعات العصر واتجاهاته النشيطة الفعالة، محل الفزع منها ومحل بغضها، وتوجيه شجاعة الذكاء إلى المعنى يناء، حيث توجهنا التغيرات الاجتماعية والعملية".

3- الإيمان المشترك (الشائع)

يلخص " ديوي " إلى حقيقة لا يمكن إنكارها أو تغاضيها، إلا وهي أن الدين الحقيقي يجب أن يكون دين الإنسانية جمعاء على اخيلاف أنماطها، وليس تعددية دينية، ذلك لأن تاريخ الإنسانية عبارة عن نسيج مترابط، عبارة عن تطور تراكمي لما حققته الإنسانية اجمعها، لا يمكن أن يكون كل فرد له تجربة خاصة به معزولة عن الواقع المعاش، هذا " ويتوقف نجاحا على معونة الطبيعة، الإحساس بكرامة الطبيعة الإنسانية،

[1]-محمود زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د-ت، ص 216.

[2]-المصدر السابق، جون ديوي، البحث عن اليقين، ص 334.

ديني بقدر ما هو الإحساس بالرهبة والاحترام، عندما يستند إلى الإحساس بأن الطبيعة الإنسانية جزء متعاون في كل أكبر "[1].

إن " ديوي " ينطلق من الواقع لتحقيق المثل الأعلى بموقف ديني الذي يهدف إلى النجاح والتطور والإستمرارية في هذه الحياة وليس الإنطلاق من مثل عليا نتقيد بها ونسير على ضوئها.

فالاعتقاد المشترك في نظر " ديوي " هو ممارسته عملية في الإبداع الثقافي، كما يعد نظرة شمولية للمجتمع من أجل النهوض والبناء في معترك الحياة، وعد الإعتقاد بوصفه مسألة ولاء للمثاليات المسقطة خياليا في الخبرات المتمتع بها على نحو شائع، وتصبح الألوهية وظيفة توحيد المثاليات مع بعضها البعض ومع الظروف الواقعة.

وهكذا يختم " ديوي " قوله عن الإيمان " ونحن نعيش الآن أجزاء من إنسانية تمتد جذورها إلى الماضي السحيق، إنسانية تفاعلت مع الطبيعة، والأشياء إلا ثمن في حضارتنا ليست من صنع أيدينا، ولكنها موجودة ثمرة العرق والدموع للجماعة الإنسانية المتصلة، والتي تكون حلقة من حلقاتها، إننا مسؤولون عن حماية تراث القيم الذي استلمناه ونقله وتعديله ونشره، حتى يتسنى لخلفنا أن يتسلمه أصلب عودا وأكثر أمنا وأسيرتنا ولا وأعظم انتشارا مما تلقيناه، وفي هذا تقوم جميع العناصر لإيمان ديني لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس، لقد كان مثل هذا الإيمان في صميم القلوب الإيمان المشترك لبني الإنسان ويبقى اليوم أن ينتقل هذا الإيمان المشترك من السر إلى العلن ويتخذ سبيله إلى التحقيق "[2].

4-الدين والتدين عند " جون ديوي ":

[1]- راندل جون هرمن ، مدخل إلى الفلسفة، نقلا عن كتاب، ديوي(الإيمان المشترك)،المرجع السابق، ص321.

[2] -د: المحمودي، علي عبود، ومجموعة المؤلفين، فلسفة الدين، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 1433-2012، الطبعة الأولى، ص236.

كان لابد أن يتعرض " ديوي " للدين من خلال مذهبه الذي يصفه بعضهم بأنه " مذهب طبيعي " أو الدهرية كما سماها " جمال الدين الأفغاني "، فلا غرابة أن يهاجمه غلاة المتدينين، وبخاصة الذين يعتمدون في مذهبهم على سلطة الكنيسة، ولذلك حاربت الكاثوليكية دائما المذهب الطبيعي.

يفرق " ديوي " بين الذين والتدين، فالدين قوة عليا غير منظورة من قبل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته، وإنما تعرف فقط أشخاصا متدينين، لهم تجارب دينية ويبدو في سلوكهم مظاهر خاصة من أداء شعائر وطقوس، وأكثر من ذلك ليس لنا الحق أن نقول " الدين " في صيغة الفرد، لأن الموجود في الواقع " أديان "كثيرة مختلفة.

والتدين ظاهرة اجتماعية خاضعة للثقافة والحضارة، فكل إنسان يولد في مجتمع له طقوس وكنيسة، ولا ينضم الفرد إلى الكنيسة، ولكنه يولد وينشأ في جماعة لها وحدتها الاجتماعية ونظمها وتقاليدها، ويرمز إليها ويحتفل بها في طقوس وعبادات وعقائد تصدر عن ديانة جماعية، وليست هذه الفكرة جديدة، ففي المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " إن كل مولود يولد على فطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه " وقد جاء الإسلام ينهي على التقاليد ويدعو إلى النظر والتحرر[1]

ولقد صرف " ديوي " الدين إلى ملكية، عضو منه أوامر لحساب جزء من الطبيعة الإنسانية، وحساب جزء من الإنسانية لا يجد له سبيلا لتعميم الدين سوى بفرض معتقداته التعسفية على الآخرين[2].

والأديان عند " ديوي " مثقلة بميزان من الطقوس والعقائد وبخاصة الغيبية ولكن تقدم العلوم في العصر الحاضر يهيء الجو للتحرر من القيم.

ويرفض " ديوي " قبول فكرة الإله المنفصل عن العالم مادام يرفض جميع الثنائيات، ولكنه يقبل فكرة الإله باعتباره أنه المثل العليا الذاتية للخبرة الإنسانية، وعنده التجربة الدينية حقيقة واقعية، وأنها تبعث في النفس الأمن والسلام، وهي مستمدة من ثقافة المرء ومن عاداته وتقاليده التي تربى عليها.

---

[1]–الأهواني،: أحمد فؤاد ، نوابغ الفكر الغربي(، جون ديوي)، المرجع السابق، ص139.

[2]–والف وين: قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص 112.

أما الدين الذي دعى إليه " ديوي " يتمثل في الدين الطبيعي، دين الإنسانية ونلاحظ أن " ديوي " يتحدث عن الدين المسيحي بوجه خاص، لا كن الأديان العانة، فالمسيحية تقوم على دعائم ثلاث هي : الإيمان والطقوس والكنيسة، أما الإسلام فيقوم على دعامتين فقط هما الإيمان والطقوس أو الاعتقادات والعبادات.

وعد كان إنسانيا بمعنى الكلمة، وفلسفته تشبه ما كان يدعو إليه مشلر، ولدلك سلكهما وليام جيمس في سلك واحد، ووصف مذهبهما بالإنساني، لأن الإنسانية تقوم على التفاعل مع الطبيعة وإن كل شيء موجود هو صنع جماعة إنسانية متصلة، والتي تكون حلقة من حلقاتها ومهمتنا هي مسؤولية حفظ هذه القيم ونقلها وتعديلها ونشرها، وإن الدين والإيمان المشترك، يتطور مع تطور الحياة ويكون التغيير فيه بعيدا عن الوهم والخيال ويحررنا من التفكير المتجمد والثابت إذ يفتح لنا المجال للتطور والنمو ويدعو إلى التأمل والتفكر[1].

ومن هنا يمكن أن نقول أن الدين عند " ديوي " هو دين إنساني وليس إلهيا.

الدين عند "جون ديوي": "هو مجموعة من المعتقدات والشعائر التي لها نوع من التنظيم القسي عل نحوها سواء أكان فضفاضا أم ضيقا أصم وعلى نقيض ذلك فإن صفة من الدين ديني، لا تدل على شيء من قبيل وحدة نوعية بالذات سواء أكانت تنظيمية في صورة مؤسسات.

والدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم، كذا عبر ابن كمال، وعبارة غيره وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، وقال الحرالي: دين الله المرضي الذي لا ليس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له، هو إطاعة تعالى عبده على قيومته الظاهرة بكل باد وعلى باد وأظهر من كل بدو عظمته الحقية التي لا يشير إليها اسم ولا يجوز رسم هي مداد كل مداد وكذلك يعرفه على أنه مجموعة من المعتقدات والرموز والممارسات التي تنهض على فكرة المقدس، والتي توحد

[1]- والف وين: قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، ص ص ص 140-141-142.

بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي.والدينٍ هو الاعتقاد بقيم يقدسها المتدين، ويقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

الفصل الثالث

مناقشة العلم والدين عند جون ديوي

قبل أن نبدأ في المناقشة، لا ينبغي أن نأخذ " جون ديوي " حقه، بل علينا أن نشيد به وبتطويره للفكر الذي يقوم على حفز الأمل، وتحدي العجز والنظر للمستقبل، وتجاوز التقوقع في الماضي السحيق، والعمل على بعث الشجاعة في نفوس الناس لإخضاع أفكارهم للتجربة وتتبرع النتائج العلمية الناتجة عنها، والبحث في القيم والأخلاق الدينية، والعمل على تطبيقها بطريقة تنفع المجتمع وتحقق المصلحة له، ويقول " ديوي " أن الحقيقة التي يجب بلوغها ليست أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ والتغير بشأنها في ذلك شأن شيء إنساني، كما أن فلسفته هي موقف من أجل العمل وتحقيق المنفعة للناس وهي بذلك تقوم على النظرة العينية الواقعية، متجنبة التجريدات والألفاظ الرنانة، وكافة الفلسفات السلبية، إلا أن هذا الثناء ليس على إطلاقه فإن هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة، منها ماله علاقة بالنواحي العلمية، ومنها ماله علاقة بالدين وأصوله ومبادئه، وقواعد الأخلاق العامة.

المبحث الأول: المناقشة من المنظور العلمي

تتركز الانتقادات على توجه " جون ديوي " الفلسفي في تصوره للعلم والمعرفة، التي جعلها أداة في سبيل المنفعة. وبالتالي لم يكن يضع في اهتماماته القضايا التي ليست لها نتائج عملية وعلمية واستبعادها من دائرة القضايا الصحيحة، ورفضه للمطلق والأزلي والحقيقة الثابتة

الفارغة، غير أنه عاش كثيرا متأثرا بفلسفة هيجل المثالية المطلقة والتي ظلت بارزة في الكثير من أفكاره الفلسفية، ولعل استعماله لمصطلح الخبرة بطريقة شاملة بقربه من المثالية والميتافيزيقية*.

فنظريته الفلسفية لا تتركز على الجانب الروحي في الإنسان وتبالغ في الاهتمام بما هو مادي في الحياة والكون، وتنظر للإنسان على أنه قابل للتجريب كما لو كان شيئا [1].

ولقد وجهت أغلب الاعتراضات " لديوي " على أفكاره العلمية والتربوية، وبرزت بشكل مباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي مطلع السبعينات بدأ الأمريكيون يفكرون تفكيرا يخالف ما نصت عليه

*-هناك من اعتبره مثاليا من خلال حديثه عن الخبرة أو الاستمرار فهو مثاليا مطلقا حسب البعض دون أن يعتقد في المطلق لأنه يمثل الخبرة في الذهن نحو الشامل، كما اعتبره البعض فيلسوفا طبيعيا في حديثه عن التفاعل بين الكائن الحي وبيئته، كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2005، ص529.

[1]-عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2002، ص123.

التربية الديوية بحكم التغيير الذي حدث في المجتمع وفي الطبيعة الإنسانية، وبدأت بوادر الثورة على التربية التي جاء بها " ديوي "، ومثلما ثار هو على التربية التقليدية بحجة الجمود والعقم، كانت ثورة بعض رجال التربية الأمريكيين عليه بحجة أن التربية الديوية قتلت الثوابت وأزلت القيم ولم يصبح لها أي معنى في المجتمع الأمريكي[1]، أي أن التربية عنده تنكر القيم الثابتة والتي تعتبر معايير خلقية أساسية لبناء المجتمع، بل ومن ثم استغلال مبادئ الحرية والديمقراطية استغلالا سيئا حتى أثر ذلك على الجانب الثقافي للمتعلمين، وبهذا أصبحت التربية عامل إلى جمود التفكير العقلي.

ولقد نظر " جون ديوي " إلى المعرفة على أنها مطلقة، إلا أنها خير ما يوجد من معارف مجربة ومختبرة، واعتبر الخبرة والنشاط الإنساني مصدر رئيسي للحصول على المعرفة وهو ما عارضته التربية الإسلامية، حيث أطلقت العنان لطلب المعرفة، واعتبرت أن الله عز وجل المصدر الرئيسي للمعرفة.

ونضيف إلى ذلك أن فلسفة " جون ديوي " كانت ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة ثم ظهرت مساؤله عند التطبيق واستفحلت أخطاره التي تتضح كما صنفها فؤاد زكريا في ثلاثة:

أ – اللاأخلاقية: بالرغم من التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد ولكنها، كفضائل، ليست مقصودة لذاتها، ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، فالحق لذاته باطل لذاته، بصرف عما يترتب عليهما من مجوه النفع أو الضرر[2].

ب – الارتباط الوثيق بالحرب: عندما تكون نتائجها في صالح الطرف الآخر، بغض النظر من الممارسات اللاإنسانية والأذى والتشرد والضرر الذي يقع جراء تلك الحروب.

ج – الانحرافات السلوكية: وأخطرها سلوك الإجرام، وعصابات القتل المنظم، وغسيل الأموال وتجارة المخدرات، وفتح الباب على مصراعيه للمنافسات والصراعات.

---

[1]–سعيد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، د–ت، ص 515.

[2]–الطويل التوفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1953، ص 259.

ولقد امتازت فلسفة " ديوي " عن الفلسفة القديمة بمبدأ التجريبي وتتبع النتائج والوعي الواقعي، إلا أن هذا الامتياز ليس جديدا، فإن مذهب التجريبي قد نشأ على أيدي الفلاسفة المسلمين الذين أخضعوا الفلسفة اليونانية الذهنية للتجربة العلمية، وتحديدا على يد الفيلسوف والعالم الكيميائي " جابر بن حيان " الذي يؤكد بأنه يقصر على مشاهدته التي تجيء التجربة مؤيدة لها، إذ قد تكون الظاهرة المشاهدة حدثا عابرا لابد على إطراء في الطبيعة وكذلك الحال في استنباط النتائج واستقرائها[1] .

وعلى الرغم مما كانت تلقاه معظم الفلسفات الأوروبية من اهتمام بين المشتغلين بالفلسفة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فإن فلسفة " ديوي " باعتبارها فلسفة ألأمريكية لم تلحظ بما تستحقه من اهتمام خارج الولايات المتحدة الأمريكية، بل لقد ضرب عليها موقف عزلة وتعتيم عجيبين[2]، ولقد دفع هذا الموقف واحد مثل بيتركاز عندما كان يدعي كضيف سنة 1960، لحضور سمنار للفلسفة في جامعة هيدلبرج، ثم عرض عليه أثناء إقامته أن يلقي كلمة أو كلمتين في جامعة مجاورة، وهي جامعة مينز، سرعان ما فطن إلى أنع لو تحدث عن " ديوي " أو عن موقف سائد في الفلسفة الأمريكية، فإن حديثه لن ينال غبر قليل من الاهتمام، فرأى بدلا من دلك أن يدلي ببعض الأحاديث بالألمانية عند كانط[3].

إن المعرفة عند " ديوي " مرتبطة ارتباطا وظيفيا بالفعل وأصبحت تتصل بالإنسان وتتوقف على ما يستطيع أن يحققه، فأصبحت المعرفة عند " ديوي " تقبل على الأشياء من خلال النشاط البشري والسلوك الذي يقوم به الإنسان في الاستجابة لها، وهذا ما رفضته التجربة التقليدية التي تقول أن المعرفة معطاة أمامنا وأن دور الإنسان محصور فقط في تسجيلها ما دامت قائمة في الوقائع الخارجية وفي الروابط القائمة بينها[4] .

---

[1]- الحجيلي منصور عبد العزيز، البراجماتية، عرض ونقد، 1431هـ.

[2]-بيتر كاز، تاريخ الفلسفة الأمريكية خلال 200 عام، تر: حسني نصار، الانجلو مصرية، القاهرة، 1983، ص 370.

[3]- سعيد إسماعيل علي، فلسفات التربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 50.

[4]- هويدي يحي، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص ص 136-137.

ولقد تعرض " ديوي " للنقد من طرف براتر ندرسل الذي نقد الغموض في المصطلحات كالبحث والموقف، فإن نقده الأساسي في هذه الناحية يقوم على وجود ميتافيزيقا لا يصرح بها " ديوي "، وهي التسليم بوجود الأشياء الخارجية[1].

أما تطبيق نظرية الحقيقة في مجال العلم، وما ذهب إليه " جون ديوي " من قوله أن قضايا العلم قضايا حقيقية لأنها مفيدة عمليا، فيبدو للحقائق العلمي من أساسها، إن قبول نظرية معينة واعتبارها صحيحة بدون برهان ولمجرد أنها نافعة أو أنها ترضينا من ناحية ما، هو نقيض الموقف العلمي تماما، إن الغرض المرضي فحسب هو في أغلب الأحيان أقرب الفروض إلى الخطأ.

ولقد فطن رسل إلى تهرب " ديوي " من فكرة الحق أو الصدق في منطقه، فقال إن هذه الفكرة فيما يبدو ليست بذات أهمية في منطق " ديوي " وإن فتشنا عنها في كتابه فوجدناها في هامش إحدى الصفحات[2].

ولقد هاجم براتر ندرسل " جون ديوي " واتهمه بالتخلي عن العقل، وذهب إلى أنه أخلط بين مفهوم الصدق أي البرهان وبين القاعدة التي نستخدمها لإختيار مدى صحة الاعتقاد، أي لتحديد المعنى، أو بعبارة أنهم أخلطوا بين النظرية المعنى والنظرية الصدق، فأدى به هذا الخلط إلى الوقوع في موقف لا عقلي، ونتج عن الهجوم الكاسح لراسل، تخلي " ديوي " عن كلمة صادق وراح يزعم بالإمكان استبدالها بعبارة جواز القبول[3] .

والتخلي عن العقل يعني التخلي عن المنطق، وفلسفة التي لا منطق لها هي كلام لا طائل من ورائه، بمعنى أن المنطق الذي يقوم على نظرية الصدق وليس نظرية المعنى باطلة ولا أساس لها.

إن مذهب " ديوي " بالمعنى الشاسع، يقوم على أساس نظرية الصدق أو الفائدة والمنفعة معيار للحقيقة، هذا المذهب يفتقد إلى الأساس المتين الذي يجعله ممتدا في الزمان والمكان، كما هي المذاهب الراسخة منذ عصر اليونان إلى أيامنا هذه فالمذهب الديوي الهش هو عبارة عن سفسطة معاصرة، أو هو أضل سبيلا عن

---

[1]– الأهواني أحمد فؤاد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص 112.

[2]–الأهواني فؤاد محمد، نوابغ الفكر الغربي(جون ديوي)، المرجع السابق، ص 113.

[3]–المعطى علي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، ج2، مصر، 1997، ص240.

السفسطة باعتبار الاخطار المحدودة لهذه،و يفتح أبوب جهنم في وجه البشرية المعاصرة ولذلك بتوفر الأسباب والمعطيات، وإن مذهب " ديوي " نجده كذلك يقوم على المنفعة وعلى نظرية لتبرير مصالح الطبقة المهيمنة في أمريكا، أكثر من نظرية أو مذهب فلسفي قائم على قاعدة منطقية صلبة وراسخة، لذلك كاد هذا المذهب أن يزول تماما، وإن بقيت آثاره في سلوك رجال الأعمال والسياسة والاقتصاد الأمريكيين خاصة، ولدى بعض الفلاسفة والمفكرين وقلة من الأوروبيين[1] .

إن " ديوي " لا يقدم لنا بحثا إيجابيا عن المعرفة، لأنها مجرد منهج لاكتشاف الأفكار الخاطئة، وهي ليست لها آثار عملية، وهذا منهج سلبي لا إيجابي، لأنها تسعى إلى الأفكار الخاطئة، تلك التي لا تكون لها الآثار العملية، والاستبعاد منهج سلبي للكشف عن الحقيقة وليس إيجابيا لحال من الأحوال[2].

إن ربط الحقيقة بالمنفعة لا يستقيم، فهل الحقيقة حقيقة لأنها مفيدة، أم هي مفيدة لأنها حقيقة ؟ ولاشك في أن الحقيقي نافع على نحوها، إلا أن ذلك لا يستبعد القول بأن المنفعة هي أساس لتعريف الحقيقة، وينكر " ديوي " وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة، ويؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف اختراع شيء جديد، وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل، وتقوم على المصلحة والمادة بين الأفراد وبالتالي تصبح القوى والسيطرة لأصحاب الطبقة الأعلى، وبذلك يبقى أصحاب الطبقات الأخرى تحت سيطرتها وعبيد لها، وهذا ما يتعارض مع المبادئ الإسلامية والشرع ويعتبر هذا نسق لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية. ويغير اعتقاد في ثبات المبادئ فإننا لسنا أمام فلسفة جديدة وإن بدت كذلك، ولكنها مجرد إعادة للنظرية الرواقية القديمة، مضاف إليها الروح النضالية الحديثة، تجعل من المجتمع غاية من الوحوش الضارية يأكل بعضها بعض إذ تتنافس على التفوق والغلبة ولا تتفق إرادتها على تحقيق إي قيمة من القيم الفاضلة، كالحق والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة في ذاتها[3] .

---

[1]- المعطى علي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 241.

3- نايف عبد الرزاق بن حمادي الطرفي، الفردية في الفلسفة البراجماتية دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية، رسالة ماجستير بقسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى ، السعودية، 1432-1433، ص 99.

[3]- حلمي مصطفى، الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 277.

ورغم ايلاء شأن المنفعة في فلسفة " ديوي " إلا أنها غامضة غير واضحة المعالم، فقد أضفوا على كلمة الحاجة معان بلغت من الكثرة حدا لم تدعمه تدل على شيء، ويعود راسل إلى مناقشة " ديوي " في موقفه الذي أسلفنا بيانه فيقول: هب أن الإنسان قال لي: هل شربت قهوة في فطورك هذا الصباح؟ يستعين الرجل العادي على الإجابة على هذا السؤال بمحاولة أن يتذكر ما حدث، أما إذا كان من أتباع " ديوي " فإنه يتريث حتى يتصور أولا أنه يعتقد أنه يشرب القهوة في فطوره، ثم يرى ما يترتب على هذا الاعتقاد من نتائج، إن كانت له نتائج، ثم يعود فيتصور أنه لم يتناول قهوة فطوره، ثم يرى يترتب على هذا الإعتقاد الجديد من نتائج، إذ كانت له نتائج، ثم يأخذ بعد هذا في الموازنة بين هاتين المجموعتين من النتائج ليرى أن الاعتقاد أدى إلى الرضا، وإلا اعترف بأنه لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال[1].

بل كيف له أن يعرف نتائج اعتقاده بأنه شرب القهوة في فطوره؟ إذا قال أن النتائج هي كذا وكذا ، وجب أن يعرف مدى شربها أن يختبرها بدورها عن طريق ما يحتمل أن يترتب عليها من نتائج وكيف يحكم بأن نتائج الاعتقاد منهما أدى من نتائج الاعتقاد الآخر إلى الرضا[2].

وينتهي رسل الأمر إلى القول بأنه يخالف " ديوي " في أن الأخير يعلق صدق الاعتقاد على نتائجه وآثاره، أما رسل فيعلق قيمة الاعتقاد على علله وأسبابه، إن " ديوي " يهتم بالمستقبل الذي يثبت فيه قيمة النتائج، أما رسل قيمة الماضي الذي تستوي فيه العلل، من أجل هذا يعتبر الاعتقاد حقا أو شبيه أن يكون حقا إذا كان على اتصال بالعلل والأسباب، إن الماضي لا يمكن أن يتأثر بما تفعل، لهذا فإن الحق إذا تحدد بما حدث في الماضي، كان مستقلا عن إرادتنا في الحاضر أو المستقبل، أما إذا كان الحق يتأكد بنتائج المستقبل فإنه بمقدار قدرتنا على تغيير المستقبل بتغيير الحق وفقا لذلك[3].

إن البراجماتية وعلى رأسها " ديوي " تقوي النزعة الفردية التي كثيرا ما ترتبط بالأنانية، وتعزز مبدأ النفعية، وترجح المصالح على المبادئ، وتقوم على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، وتبيح كل شيء يسهم في الوصول الفرد

---

[1]–طويل توفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق،مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1953،1، ص 276.

[2]–المرجع نفسه، ص 278.

[3]–طويل توفيق، المرجع السابق، ص 279.

إلى هدفه بغض النظر على حرمة أو مشروعية ذلك الشيء، وتسهم في نشأة أفراد لهم إلا تحقيق حاجياتهم الذاتية بغض النظر عن القيم الدينية والاجتماعية الثابتة التي ترفضها البراجماتية[1]

الدين لم يسلم أيضا من التفسير النفعي فلسفيا في ضوء الفلسفة البراجماتية، حيث أن شرط اعتبار وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عندما يسأل عن قيمة الدين، لأن قيمته فيما ينتجه، وهذا ما سنتناوله فيما يلي:

المبحث الثاني المناقشة في المنظور الديني

إن الدين الإسلامي بحمد الله تعالى-يمتلك أعظم ثروة في مجال العقيدة والقيم والسلوك والأخلاق، ولقد ترك لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، تراثا ضخما من الأحاديث التقويلية والفعلية التي تحث على حسن الأخلاق والسلوك، لإضافة إلى العبادات بالشكل الذي جمع لنا فيه بين العلم والعمل، وضعت الفلسفة البراجماتية والتي قعد عليها " جون ديوي " أساسا عمليا أقام دعائم أقوى حضارة مادية في عصرنا الحاضر إلا أنها قد أغفلت جانبا مهما يكفل دوام الحضارات واستمرارها، ألا وهو الجانب الروحي المتمثل في الإيمان بالله تعالى والانطلاق من شرعه وجعله مناهج الحياة ودستورها ذلك الشرع الذي يعلمنا كيفية توظيف سنن الله الكونية لنعمر بها الأرض وننشئ بها دعائم الحضارة على أساس من سنن الله الشرعية.

إن العالم الغربي قد أفاد إفادة تامة من السنن الكونية التي وضعها الله سبحانه وتعلى في الكون وعليها أقام الغرب حضارته، إلا أن الكثيرين منهم قد أغفلوا تماما جانب السنن الشرعية وأسقطوها من حسابهم وأنكروا وجود الله تعالى وكفروا بكل دين بعد كفرهم بالنصرانية ومعتقداتها التي في جانب منها مناقضة للعقل ومخالفة للمنطق، وقد تسبب سلوك رجل الدين النصاري من قبل في تخلف الشعوب الأوروبية عن ركب الحضارة.

لقد ركز " ديوي " على الجانب المادي وحده حقيقة الروح وارتباطها بالنشاط الإنساني، بمعنى أن الروح والمادة في الإنسان غير منفصلين أو مستقلين إحداهما عن الأخرى، وإنما هما ممتزجتان معا في وحدة متكاملة

[1]- السورطي يزيد عيسى، التسليع التربوي في الوطن العربي، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية،العدد21، المجلد19، ص12.

ومتناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته، وإن هذه النظرية مرفوضة، حيث أغفلت الروح وقد قطعت أية علاقة أو ارتباط بينه وبين خالقه، وهذا يتعارض تماما مع رؤية التربية الإسلامية التي تنظر إلى الإنسان على أنه ذلك الكائن الذي كرمه الله كما في الآية الكريمة: " وجعله في أحسن تقويم وأحسن صورة " (غافرون: 64)، ومن صور التكريم الإلهي للإنسان أن حمله الأمانة والمسؤولية، كما جاء في التوجيه القرآني[1]: " إنا عرضنا الأمانة على لأن يحملها وأستفقن منها وحملها الإنسان إنه كان مظلوما جهولا "(الأحزاب:72)

ويتضح لنا من خلال هذا الرأي أن " جون ديوي " ينظر إلى الإنسان على أنه لا يمكن الفصل بين عقله وجسمه، ولكنه ركز على الجانب المادي وأغفل الجانب الروحي لديه، وقطع أية علاقة تربط بينه وبين خالقه كما وأعطى الإنسان حرية وإرادة مطلقة في جميع تصرفاته، ورفضت التربية الإسلامية هذه النظرة، حيث أنها نظرت للإنسان نظرة ثنائية متكاملة وضبطت حرية الإنسان ولم تطلق له العنان ليفع ما يحلو له.

وإن " ديوي " يرى أن الإنسان مهمة في المجتمع تقوم فقط على المنفعة والمصلحة، وهذا ما يرفضه الإسلام إذ ينظر إلى الإنسان على أنه إيجابي في المجتمع، يعمل لينفع نفسه، ويتعاون مع الآخرين فهو أداة فعالة مع بني جنسه، ويؤكد ذلك في قوله تعالى[2]: " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا عل الإثم والعدوان وإتقوا الله إن الله شديد العقاب " (المائدة: 2).

إضافة لكون مجرد إخضاع الدين والأوامر الإلهية للتجربة للحكم بصحتها أو عدمها، يعتبر مشاركة الله تعالى في خلقه مما يتنافى مع الوحدانية التي هي لله تعالى في خلقه مما يتنافى مع الوحدانية التي هي لله تعالى، فهو الأحد الفرد الصمد الذي لم يكن له كفوءا أحد، وهو الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون إن مجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته، والدين لا يقبل الشك، فلا يجوز الجمع بين الشك والإيمان، لأن أمور الإيمان تتجاوز الحس ولا تدخل في مجال التجربة، والمؤمن الحق لا

[1]–عبد العال حسن، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب للتوزيع والنشر، الرياض، 1958، ص31.

[2]–الزيلعي عبد الله، الفلسفة البراجماتية في مجال التربية دراسة نقدية تحليلية في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص29.

يضع عقيدته موضع الشك، ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضوع اختبار، بل على عكس تماما، يؤمن بأن الله عز وجل يختبر عباده.

وأوضحت دراسة مفهوم القيم لدى " جون ديوي "، والتي ركزت على الجانب النفعي للقيم، واعتبر "ديوي " القيم المادية هي الأصل في النفع، ولقد كان للتربية الإسلامية رأي آخر رفض هذا الرأي تماما، حيث اعتبر النفع للجميع، للفر والمجتمع وفق معايير إسلامية.

ولقد قامت فلسفة " ديوي " الدينية على مبدأ النفعية، وجعلت النتيجة هي معيار الحكم على حسن ذلك العمل والأخذ به، أو قبحه وتركه، وقد طبق ذلك المبدأ على الدين، فأصبح الدين نافعا في بعض الأحيان مما لا يمكن استبدال غيره به[1] ، وفي هذا يقول براتر ندرسل لا يقنع مؤمنا مخلص إيمانه، إن المؤمن لا يقول: إني آمنت بالله سعدت، ولكنه يقول: إني أؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد، إن الإعتقاد بوجود الله في نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده مع نتائج وآثار[2].

وينكر " ديوي " الحقائق الموضوعية والقيم المطلقة، ويؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف شيء جديد وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل. وهذا نسق لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية، كما أنه إنكار للقيم والمبادئ التي أقرها الشرع.

ولقد أظهرت كذلك الدراسة أن القيم عند " ديوي " هي قيم قابلة للتغير، وهذه الفكرة رفضها الإسلام باعتبار أن القيم نسبية في فروعها، ومطلقة في أصولها.

ولقد أوضح " ديوي "كذلك أن الخبرة هي المصدر الرئيسي للقيم، وهو ما يتناقض مع القيم الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إن المذهب الذرائعي " لديوي " يشكل خطر على العقيدة، فهو يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل والوحي، وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذرائعية كما أفلست سواها من

---

[1]-بوتر اميل، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، تر: أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1973، ص 247.

[2]-راسل برتند، تاريخ الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 475.

الفلسفات المادية، وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت إلى تأجيج المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها الأديان السماوية، لقد تعرضت الذرائعية إلى انتقادات معينة، وعرضت على أنها تبرير لأخلاقيات رجال الأعمال الأمريكيين، ولقد اندثرت كحركة فكرية فردية، ولكنها كمجموعة أفكار مازالت تعمل في الفكر البشري، ومن أهم آثار هذه الأفكار تفسير الفكر والمعنى على أنهما من أشكال السلوك النائي عند الإنسان[1].

ولقد تعرض المذهب التلفيقي لديوي إلى عدة انتقادات نذكر منها:

1 – يقوم المذهب التلفيقي على اعتقاد انفصام العلاقة بين النزعتين الفردية والجماعية عند الإنسان، وهذا خطأ أيضا فكما تقدم أن لكل نزعة دورا مهما تقوم به في حياة الإنسان، وأن إعمال كل منهما في مجاله يؤدي لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة[2].

2 – يعتبر المذهب متناقض مع نفسه، ففي الوقت الذي ينادي بوضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد، وجعل التلميذ يفيد نفسه، يضع أهدافا متمركزة حول المصالح الاقتصادية، ويطالب بتربية الطالب على الخضوع والانقياد لمتطلبات العمل في المؤسسات الصناعية[3].

3 – وينتهي مذهب " ديوي " إلى خدمة المذهب الاقتصادي الرأسمالي فهو في حقيقته تربوية ترويضية للناشئة على تقبل النظام الاقتصادي القائم، وتنفيذ سياساته، والدفاع عنه معدم الانتباه لنقائصه، لأنه صادر عن العقل الاجتماعي فهو صادر عن حرية الفرد، ولذلك تؤخذ المناهج والنظريات التي تدرس للطلاب عن طريق صاحب العمل، ويعترف ديوي بما ذكره من توفيق بين الفردية والجماعية ليس صحيحا، بل هو صورة جديدة من صور تقييد حرية الأفراد وقتل الإبداع في نفوسهم، وتعبيدهم للما هو زائف من مبادئ مشتركة تكونت على أساس خاطئ[4].

---

[1]–الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ع98.

[2]–جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد47، ذو الحجة 1430هـ، ص666.

[3]–الكيلاني ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 419هـ، ص 464-470.

[4]- الكيلاني ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، المرجع نفسه، ص ص 667-668.

وينكر " ديوي " الحقائق الموضوعية والقيم المطلقة، ويؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف شيء جديد وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل، وهذا نسق لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية، كما أنه إنكار للقيم والمبادئ التي أقرها الشرع.

ولقد أظهرت كذلك الدراسة أن القيم عند " ديوي " هي قيم قابلة للتغيير، وهذه الفكرة رفضها الإسلام باعتبار أن القيم نسبية في فروعها، ومطلقة في أصولها.

ولقد أوضح " ديوي "كذلك أن الخبرة هي مصدر الرئيسي للقيم، وهو ما يتناقض مع القيم الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إن المذهب الذرائعي " لديوي " يشكل خطر على العقيدة، فهو مذهب يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل والوحي، وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذرائعية كما أفلست سواها من الفلسفات المادية، وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت إلى تأجيج المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها الأديان السماوية، ولقد تعرضت الذرائعية إلى انتقادات معينة، وعرضت على أنها تبرير لأخلاقيات رجال الأعمال الأمريكيين، ولقد اندثرت كحركة فكرية فردية، ولكنها كمجموعة أفكار ما زالت تعمل في الفكر البشري، ومن أهم آثاره هذه الأفكار تفسير الفكر والمعنى على أنهما من أشكال السلوك النائي عند الإنسان[1]

إن إنكار " ديوي " للقيم المطلقة يعارض القيم الأخلاقية الإسلامية والتي لها أصول ضاربة في أعماق الطبيعة الإنسانية كما أنه إنكار للقيم التي أقرها الشرع، وجهلنا الحكمة منها، لقصور في معرفتنا مع اعتقاداتنا بأن الخير كل الخير يكمن فيها، وإن تحديد الخير يكون في الشرع، وليس من الإنسان، فقد يقر الشرع أمر يرى الحق فيه، ويرى الإنسان لقصوره أن فيه شرا بينهما هو في حقيقة الأمر خير .

إن إخضاع كل شيء للتجربة يجعل الأفكار في شك حتى تثبت صحتها بالنتيجة العملية، ومجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته، والدين لا يقبل الشك، فلا يمكن الجمع بين الشك والإيمان،

[1]-االندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ع98.

فهناك أمور غيبية لا يمكن للإنسان أن يصل إليها بالتجربة العملية، ونتجاوز الحس، لأنها من حكيم خبير، والتسليم أمر مطلوب للمسلم الذي لا يضع عقيدته في موازين الشك، ولا يجعل إيمانه في موضع الاختبار بل يعلم أن الله هو يختبر إيمانه، ويعلم قوته من ضعفه، وتمسكه بعقيدته دون شك، بل هي عقيدته محمية من الشك والزيغ [1].

إن الدين الإسلامي- بحمد الله تعالى- يمتلك أعظم ثروة في مجال العقيدة والقيم والسلوك والأخلاق، ولقد ترك لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم إرثا ضخما من الأحاديث القولية والفعلية التي تحث على حسن الأخلاق والسلوك، إضافة إلى العبادات، بالشكل الذي جمع لنا فيه بين العلم والعمل، ولقد قام " ديوي " على أساس أن معيار في بيان صحة الأعمال وحسنها إنما يكون من خلال النتائج المترتبة عليها، فأخضعت كل شيء لمبدأ النفعية وجعلت النتيجة معيار الحكم على الحسن ذلك العمل والأخذ به، أو قبحه أو تركه، وقد طبقوا ذلك على الدين فأصبح الدين نافعا في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به، وفي هذا يقول براتر ندرسل " لا يقنع مؤمنا مخلصا إيمانه، لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى استراح

إلى موضوع عبادته وإيمانه، إن المؤمن لا يقول: إني إذا آمنت بالله سعدت، ولكنه يقول: إني أؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد"[2].

لقد جعل " ديوي " من الفرد مصدر للقيم، وهذه الفردية بما يرتبط بها من فوضى وغموض تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام والرقابة والمهام الاجتماعية، وهي بذلك تخالف التربية الإسلامية تماما، حيث أن مصدر القيم في التربية الإسلامية مصدر رباني، ترتكز عليه متسامية عن المصادر البشرية المادية، وتحتكم إلى شريعة الله تعالى، مما يكسبها الثبات والتوافق وعدم التضارب[3].

إن المنفعة هي معيار لقبول القيم أو ردها، وهي بهذا تنظر إلى المنفعة المادية الدنيوية العاجلة وإلى شهوات الجسد بعيدا عن حاجات الإنسان الأخرى، فجعلت فائدة الفرد الدنيوية محدودة هي المعيار في قبول القيم

---

[1]-الحجلي منصور عبد العزيز، البراجماتية عرض ونقد، المرجع السابق، ص315.

[2]-المرجع نفسه، ص ص316-317.

[3]-رشوان محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص85.

أو ردها، والتربية الإسلامية لم تغفل المنفعة المترتبة على القيم إلا أن هذه المنفعة ليست معيار القبول أو الرد، بالإضافة إلى أن التربية الإسلامية لم تقصر المنفعة على النفع الدنيوي فقط بل ربطت بين العمل الدنيوي والثواب الأخروي [1] .

ثم إن النفع المجرد لا يصلح أن يكون معيار لقبول القيم أو ردها، ذلك أن الفرد تام العجز عند إدراك ما ينفعه حالا ومالا، فالخير هو ما يحدده الشرع، ذلك أن الله تعالى هو العليم الحكيم

ونجد كذلك أن قول " ديوي " بنسبية القيم هو في حقيقته إنكار للقيم، فما كان اليوم له قيمة، قد يصبح غدا لا قيمة له، وهكذا لا يكون هناك أي ثبات لقيمة من القيم، ومعروف من بديهيات الإسلام فساد هذه الأفكار، فالفضائل ثابتة والأخلاق والقيم لا تتغير، فالصدق فضيلة في كل مكان وزمان والكذب رذيلة في كل آن، ذلك أن معيار الأخلاق عند المسلمين الشرع المطهر[2].

إن إقامة المجتمعات على موازين الكسب والخسارة وحدهما، كفيلة بهدم تلك المجتمعات، إذ كيف يقوم مجتمع من المجتمعات وينهض إذا كانت العلاقة تقوم بين أفراده لا تقوم إلا على أساس المصلحة والكسب المادي، فكم من علاقات أخرى تقوم على الإيثار والتضحية وحب الخير لذاته، وهي التي تكفل تحقيق السعادة للمجتمع، لأن التعاطف والتعاون هما الزائدان في حركة المجتمع الإنساني، وإلا تتحول إلى غاية من الغايات التي يأكل فيها القوي الضعيف، فالنجاح مطلوب والسعي والتنافس على فعل الخيرات مرغوب، فإن المؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، ولكن ينبغي أن يضل السعي هدفا وطريقا بأوامر الشرع والالتزام بآدابه.

ويقول " ديوي " أن الحقيقة التي يجب بلوغها ليست أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ والتغير بشأنها في ذلك شأن شيء إنساني، كما أن فلسفته هي موقف من أجل العمل وتحقيق المنفعة للناس وهي بذلك تقوم على النظرة العينية الواقعية، متجنبة التجريدات والألفاظ الرنانة، وكافة الفلسفات السلبية، إلا أن هذا الثناء ليس على إطلاقه فإن هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة، ولقد وجهت أغلب الاعتراضات "

---

[1]-المرجع السابق، ص86.

[2]-شبير محمد خضر عوض، دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010، ص60.

لديوي " على أفكاره العلمية والتربوية، وبرزت بشكل مباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي مطلع السبعينات بدأ الأمريكيون يفكرون تفكيرا يخالف ما نصت عليه التربية الديوية بحكم التغيير الذي حدث في المجتمع وفي الطبيعة الإنسانية، وبدأت بوادر الثورة على التربية التي جاء بها " ديوي "،و أما تطبيق نظرية الحقيقة في مجال العلم، وما ذهب إليه " جون ديوي " من قوله أن قضايا العلم قضايا حقيقية لأنها مفيدة عمليا، فيبدو للحقائق العلمي من أساسها، إن قبول نظرية معينة واعتبارها صحيحة بدون برهان ولمجرد أنها نافعة أو أنها ترضينا من ناحية ما، ولقد أظهرت كذلك الدراسة أن القيم عند " ديوي " هي قيم قابلة للتغير، وهذه الفكرة رفضها الإسلام باعتبار أن القيم نسبية في فروعها، ومطلقة في أصولها.

ولقد أوضح " ديوي "كذلك أن الخبرة هي المصدر الرئيسي للقيم، وهو ما يتناقض مع القيم الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

خاتمة

خاتمة:

و لقد ختمنا هذا البحث عن العلم والدين عند " جون ديوي "، حيث ألقى " جون ديوي " أثناء حياته بتقدير لم يلق به أحد من الفلاسفة، الذي حين احتفل بمرور سبعين عاما على مولده احتشدت الأفلام تلقى الأضواء على فلسفته حيث انفرد " جون ديوي " وحده دون سائر البراجماتيين بما يسميه المذهب الوسائلي أو المذهب الأداتي وهو المذهب الذي جعل فيه المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة، فالفكرة أداة الفعل لديه، فجمع بين مادته العلمية وأراء " ويليام جيمس " الدينية، وقمنا كذلك بتعريف مفهوم العلم والدين من عدة نواحي (الفلسفية، الدينية، الاجتماعية)، وتطرقنا كذلك إلى العلم عند " جون ديوي " بالتركيز على المعرفة التي تقوم على التجربة والحقيقة وكذلك نظرة " ديوي " للعلم والكون العالم والمنطق، ونجد كذلك الجانب الديني الذي يبنى على أساس القيم والأخلاق والتدين، ولقد تمت مناقشة العلم والدين عند " جون ديوي " من المنظور العلمي والديني.

وبعد أن بينا ذلك كله، يمكننا أن نسجل النتائج التالية:

لقد أدخل " جون ديوي " مفهوم الأداة والوسيلة على الفلسفة البراجماتية حيث جعل المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة، وفلسفته تقوم على مبدأ المنفعة، والقوي يسحق الضعيف حتى يحقق المنفعة، ويكون لعمله أثر ونتيجة، إن المعرفة عند " جون ديوي " هي معرفة غير مطلقة أي ليست ثابتة، فالمعرفة طريق مفتوح لنشاط الإنساني، ولقد سمي مذهبه بالتجريبي لأنه يبحث عن الحقيقة وعن الحكمة الأعظم، وفي نظر " جون ديوي " لا توجد حقيقة خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية، وأنه من غير الممكن البحث عن أسباب الأعمال خارج نطاق التجربة، ونجد كذلك أن " ديوي " يؤكد على دور الخبرة في المعرفة حيث أنها تعلمنا أن كل شيء يتغير، وأنه لا يوجد ثبات أو سكون في ميدان المادة، ولا في ميدان العقل، ويلخص " ديوي " منطقه في أن كل فكرة لا تستحق أن تسمى بهذا الاسم ما لم تكن ذات علاقة وثيقة بموقف ماثل أمام صاحبها، أي أن الفكر لا يمكن فكرا إلا إذا كانت علاقة وسيلة بما ليس فكرا كالسكين تقطع غيرها، أما بالنسبة للجانب الأخلاقي فغن نظرة " ديوي " للأخلاق هي أن الأخلاق التجريبية تقوم على تحقيق الحرية والديمقراطية للإنسان، إذ لا توجد حقائق وقيم مطلقة عنده، فالحقائق والقيم نسبية متغيرة

بحسب الزمان والمكان، وإن أساس التعامل بين الأفراد في نظر " ديوي " هو المصلحة بينهم دون مراعاة القيم الأخلاقية والإنسانية، وينظر " ديوي "كذلك إلى الدين من خلال المنفعة التي تنتج عنه بغض النظر عن مقاصده الشرعية ومعانيه السامية.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

براترند راسل 1872م-1970م	فيلسوف وعالم منطق ورياضي بريطاني.
هيجل 1770م-1837م	فيلسوف ألماني، وسمي طريق منهجه المنطقي بالجدل.
تشارلز ساند رسن بيرس 1839م-1914م	هو فيلسوف أمريكي والمؤسس الأول للفلاسفة البراجماتية وواضع أصولها وركائزها
وليم جيمس 1842م-1910م	هو فيلسوف أمريكي من أكبر دعاة الفلسفة البراجماتية، ويعد جيمس رسول بيرس في نشر أفكار الفلسفة البراجماتية بين العامة والخاصة.
كارل بوبر 1902م-1994م	هو من أهم الفلاسفة القرن 20، أخذت فلسفته طابعا علميا يتسق ونظريات القرن20، ولقد تميزت فلسفته بنزعة عقلية تستوحي روح العلم الخالصة ومنهجه قائم على المحاولة واستبعاد الخطأ.
ابن خلدون 732هـ-1332هـ	هو مكتشف علم الاجتماع، وواضع القواعد المنهجية لدراسة العلوم الإنسانية.
إيمانويل كانط1724م-1804	فيلسوف ألماني في القرن 18، كان لآخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة وكان آخر فلاسفة عصر التنوير.
دوركايم 1818م-1981م	هو فيلسوف فرنسي، هو من وضع قواعد المنهج الاجتماعي.

دلاليات المذكرة

دلاليات المذكرة

الرمز	دلالته
د	دكتور
أ	أستاذ
ج	جزء
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ
ص	صفحة
ت.ح.ق	تحقيق
تع	تعليق
دط	دون طبعة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة : .....أ

الفصل الأول: دراسة جينيا لوجية وكرونولوجية.....06

المبحث الأول: دراسة كرونولوجية 07

أولا: حياته الفكرية.....07

ثانيا: فلسفته.....08

ثالثا: مذهبه.....14

رابعا: مؤلفاته.....16

البحث الثاني: دراسة جينيالوجية.....18

أولا:مفهوم العلم sience.....18

ثانيا: مفهوم الدين.....20

1-**لغة**.....20

2-**اصطلاحا**.....20

الفصل الثاني: العلم والدين عند جون ديوي.....25

المبحث الأول: العلم عند جون ديوي.....26

أولا: المعرفة.....29

ثانيا: المنطق.....38

المبحث الثاني: الدين عند جون ديوي 45

أولا: الأخلاق.....45

ثانيا: الدين والتدين.....58

1-نقد ديوي للدين.....58

2-القيم وتعارضها مع الدين.....60

3-الإيمان المشترك (الشاسع).....62

4- الدين والتدين عند ديوي.....63

الفصل الثالث: مناقشة العلم والدين عند جون ديوي.....66

المبحث الأول: المناقشة من المنظور العلمي.....67

المبحث الثاني: المناقشة في المنظور الديني.....74

خاتمة.....82

فهرس الأعلام.....85

دلاليات المذكرة.....87

قائمة المصادر والمراجع 89

فهرس الموضوعات.....90

فهرس الموضوعات

مقدمة : .....أ

الفصل الأول: دراسة جينيا لوجية وكرونولوجية.....06

المبحث الأول: دراسة كرونولوجية 07

أولا: حياته الفكرية.....07

ثانيا: فلسفته.....08

ثالثا: مذهبه.....14

رابعا: مؤلفاته.....16

البحث الثاني: دراسة جينيالوجية.....18

أولا:مفهوم العلم sience.....18

ثانيا: مفهوم الدين.....20

1-لغة.....20

2-اصطلاحا.....20

الفصل الثاني: العلم والدين عند جون ديوي.....25

المبحث الأول: العلم عند جون ديوي.....26

أولا: المعرفة.....29

ثانيا: المنطق.....38

المبحث الثاني: الدين عند جون ديوي 45

أولا: الأخلاق.....45

ثانيا: الدين والتدين.....58

1-نقد ديوي للدين.....58

2-القيم وتعارضها مع الدين.....60

3-الإيمان المشترك (الشاسع).....62

4- الدين والتدين عند ديوي.....63

الفصل الثالث: مناقشة العلم والدين عند جون ديوي.....66

المبحث الأول: المناقشة من المنظور العلمي.....67

المبحث الثاني: المناقشة في المنظور الديني.....74

خاتمة.....82

فهرس الأعلام.....85

دلاليات المذكرة.....87

قائمة المصادر والمراجع 89

فهرس الموضوعات.....90

قائمة البيبلوغرافيا

القرآن الكريم

قائمة المصادر:

المصادر بالعربية:

1) ديوي جون، تجديد في الفلسفة، تر: أمين مرسلي قنديل، مكتبة أنجلو المصرية، 1947.
2) ديوي جون و ديوي إيفلين، مدارس المستقبل، تر: عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.
3) ديوي جون : الخبرة والتربية، تر: محمود البسوتي، ويوسف حمادي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977
4) ديوي جون: البحث عن اليقين، تد: أحمد فؤاد، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960.

قائمة المراجع:

5) الأهواني، أحمد فؤاد ، نوابغ الفكر الغربي، (جون ديوي)، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1199.
6) إبراهيم ماجد: البراجماتية عرض ونقد، مجلة حولية الدعوة الإسلامية، ج2، ع19، جامعة الأزهر، القاهرة، 2004.
7) إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ج1، 1999
8) بوشنسكي، إ،م، ند: د.غرت قرني، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، كويت، د(ط)، 1413ه-1992م.
9) المعطى علي محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، ج2، مصر، 1997

10)بيتر كاز، تاريخ الفلسفة الأمريكية خلال 200 عام، تر: حسني نصار، الانجلو مصرية، القاهرة، 1983.
11)فورم إريك ، التحليل النفسي والدين، تد: فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، 1977م.
12)رسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ت:محمد فتحي الشنطي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م
13)جديدي محمد: فلسفة الخبرة "جون ديوي أنموذجا " المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
14)هاني صالح، فلسفة التربية، الأردن، عمان، 1967.
15)هويدي يحي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د(ط)، 1993.
16) وولف، أ، نقله إلى العربية د: أبو العلا العفيفي، فلسفة المحدثين و المعاصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2،2001.
17) زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مصر، 1968
18)زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، مصر 1966.
19)حلمي مصطفى، الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005،
20)طه جميل حسين: الفكر التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007.
21)طويل توفيق: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1981.
22)كامل فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للنشر، بيروت، ط1، 1413ه_1993م.
23)كيمني جون: الفيلسوف والعلم، تر: أمين الشريف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت،1969.
24)كفاد يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي "نظرتهما لطبيعة الإنسانية، صدرت لجنة البحث والدراسة في التراث، ع2، 2013.

25)مهران محمد، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1404ه-1984م،
26)محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 1990.
27)رافع سامح محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مديولي للنشر، ط1، 1963.
28)عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمان:دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2002.
29)عبد الله العمري: ظاهرة العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د(ط)، 1983.
30)نجيب زكي محمود، مقدمة الترجمة العربية للكتاب(جون ديوي المنطق نظرية البحث)، دار المعارف، القاهرة، 1960.
31)نوري جعفر ، جون ديوي، مطبعة الزهراء، بغداد، 1954
32)نصري هاني يحي: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002.
33)تبشة عبد القادر، الإبستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية، دار المطبعة، بيروت، ط1، 1995.
34) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هندوي للنشر، القاهرة، 2012.
35)عمر محمد الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربويةـ الدار العربية للكتاب، لبنان، ط3، 1982.
36)عبد العال حسن، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب للتوزيع والنشر، الرياض، 1958
37)رايت وليم كلي: الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2005.
38)صمو يلسون، وليم وماركو وتيتز، فريد، مقدمة في فلسفة التربية،تر: الكيلاني ماجد، دار الفرقان، عمان، 1998.

39) محمد عثمان ، مدخل إلى فلسفة الدين، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
40)مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، د-ت.
41)سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1995

الموسوعات والمعاجم

42) والف وين: قاموس جون ديوي للتربية، مختارات من مؤلفاته، تر: محمد علي العريان، مكتبة أنجلو المصرية، فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، د(ط)، 1964.
43) ابن منظور : لسان العرب، مج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999.
44) الدين جلال، سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
45) جواد مغنية محمد، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د(ط)،
46) مارشال جوردون، موسوعة علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ج2، ط1، 2000.
47) دوركايم إيميل ، الصور الأولية للحياة الدينية، عن معجم لالاند الفلسفي التقني، ج3.
48) معجم أكسفورد للفلسفةج1، من الحرف أ إلى حرف ط- تح: تنهو ندرتش، تر نجيب الحصادي.
49) مجموعة من المؤلفين، معجم الفلاسفة الأمريكان من البراغماتيين إلى ما بعد الحداثيين تر: محمد الشيخ، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع ،بغداد،ط1، 1436هـ-2015.
50) محمد عبد النبي سيد غانم: المنجد في اللغة، دار المشرق العربي، بيروت، ط26، ص 527.
51) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، د(ط)، 1983.
52) قاموس ويستر الجديد للقرن 20 باللغة الإنجليزية نقلا عن كتاب أساليب البحث العلمي وكامل المغزى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.
53) مارشال جوردن، موسوعة علم الاجتماع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2000.

المقالات والمجلات

54) إبراهيم ماجد: البراجماتية عرض ونقد، مجلة حولية الدعوة الإسلامية، ج2، ع19، جامعة الأزهر، القاهرة، 2004.

55) جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد47، ذو الحجة 1430هـ.

56) الندوة العالمية للشباب الإسلامي عدد98.

المذكرات

57) الزيلعي عبد الله، الفلسفة البراجماتية في مجال التربية دراسة نقدية تحليلية في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1995م.

58) بشير محمد خضر عوض، دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010.

المصادر بالأجنبية:

59) John Dewey ,How think, Health and co, New York, 1933.

60) JOHN DEWEY AND ATHER BENTLY ,KNOWING AND THE KNOW THE BACOM,(BOSTON, 1994

المراجع بالفرنسية:

61) Adolphe, Meyer, The development of Education in the twntirth century (second Ed) , New York, 1950.